مفهوم العدالة والقانون الطبيعي عند الرواقية

طيبة حسين محمد حسين (*)

مقدمة:-

نشأت المدرسة الرواقية في العصور الهيللنستية المتقلقة ، وذلك إثر موت الإسكندر المقدوني، مستجيبة للأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية ، ومساهمة بدورها في مساعدة المرء على الصمود أمام ظروف الدهر وتقلباته.[١] حيث أن فقدان بلاد اليونان الحرية السياسية - نتيجة لسلسة من المحاولات الفاشلة للتخلص من النير المقدوني، ثم خلفهم الرومان- قد تبعه فترة من سبات الإبداع للعقل اليوناني ، ولم يعد التأمل بالمعنى الأسمى ممكنا، وأصبحت الفلسفة عملية بالكامل في أهدافها، وقد كان من نتاج ذلك : تفكك روح الفلسفة اليونانية المميزة ، واستبدال الروح الانتقائية العالمية، وكذلك تمحور الفكر الفلسفي حول مشاكل الحياة البشرية ومصير الإنسان.[٢]

ومما سبق يتبين أن الفلسفة اليونانية في العصر الهيللنستي – لدى المدرسة الأبيقورية والرواقية- قد فقدت أصالتها العلمية والتجريدية ، وأضحت فلسفة انتقائية ، تنتقي من كل مذهب ما تراه مناسبا لخدمة الجانب الأخلاقي (العملي) من الفلسفة ويحقق السعادة والحرية للفرد، وقد قسم زينون الرواقي(٣٣٠ق.م)[٣] مؤسس المدرسة الرواقية الفلسفة إلى ثلاثة فروع: المنطق والطبيعة والأخلاق [٤]. وقد أصروا على القول بأنها فروع للفلسفة وليس اجزاء لها ، ايمانا منهم بالوحدة العضوية للفلسفة على عكس التصور الأرسطي . وقد اكدوا على ايمانهم بهذه الوحدة بتشبيهات كثيرة، حيث ذهبوا إلى أن الفلسفة تشبه

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [العلاقة الجدلية بين العدالة والقانون عند فلاسفة اليونان]، وتحت إشراف: أ.د. محمود السيد مراد – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. شرف الدين عبد الحميد أمين – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

[١] جلال الدين سعيد: فلسفة الرواق (دراسة ومنتخبات) ، مركز النشر الجامعي ، ١٩٩٩م ، ص ١١.

[2] -William Turner; History of Philosophy, ; p. 161.

[٣٣] هو زينون ابن مناسياس (أو ابن ديمياس) ، كان مواطنا من كيتون بجزيرة قبرص ، تلقى العلم على إقراطيس الكلبي لبرهة من الزمن ، ألف خلالها كتابه الذي يحمل عنوان "الجمهورية" ، وبالإضافة إلى هذا الكتاب ألف كتبا عديدة منها: عن الحياة وفقا للطبيعة، عن الدوافع، أو الطبيعة البشرية، عن الانفعالات ،عن التربية الهيللينية، ...وغيرها (انظر: ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة(المجلد الثاني)،الجزء السابع، فقرة (١)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة،القاهرة،٢٠٠٧م،ص ١١٥

[4] -Margret J. Osler; Atoms ;and Tranquility (Epicurean and Stoic Themes in European Thought ; Cambridge university press; New york; 1991;p.11.

الحيوان، المنطق فيها يماثل العظام والشرايين، والأخلاق تناظر ما هو متجسد من اللحم، والفيزيقا تقابل الروح. أو يشبهونها بالبيضة؛ قشرتها الخارجية هي المنطق، والبياض يماثل الأخلاق، أما الصفار فهو الفيزيقا.[٥].

وتبرز قضايا الدولة والقانون والسياسة في كل قسم من هذه الأقسام، لكنهم أولوا اهتماما خاصا بقسم الأخلاق.[٦] حيث ان السياسة بصفة عامة لم يكن لها قسم خاص في النظرية الفلسفية الرواقية ، ولكن يمكننا أن نتبين أهم معالمها من خلال مفهوم القانون الطبيعي والواجب الأخلاقي في الفلسفة الرواقية.

ومن ثم ، لم يتناول الرواقيون السياسة بمعزلٍ عن الفلسفة ، بل تناولوها كجزء من فلسفة الأخلاق ، وعلم كل من زينون وكريسيبوس أن المشاركة في الحياة السياسية واجب أساس على الحكيم الرواقي ، بشرط ألا يكون هناك شيء يعيقهم صفاء الذهن وهدوءه، بمعنى أنه كان مطلوبا منهم المشاركة في الحياة السياسية ، إذا رأوا فرصة معقولة لتعزيز الفضيلة بذلك.[٧]

ولكن هذا التقسيم اعتباريا فقط،، إن العلم الطبيعي يعلمنا وحدة الوجود ، فالعقل الذي يعلم هذا ويربط المعلولات بالعلل في الطبيعة، هو الذي يربط التالي بالمقدم في المنطق، وهو الذي يطابق بين أفعاله وقوانين الوجود في الأخلاق ،[٨]

لذا ، يعتبر الرواقيون أن الأخلاق هي " الجزء الإلهي" للفلسفة ومنها تنطلق كل التساؤلات المنطقية والمادية ، إذ أن المشكلة الأساسية للفلسفة لديهم هي مصير الإنسان وسعادته ، لذلك طبق الرواقيون السمة الأكثر تميزا على عقائدهم المادية وهي أنه على كل شيء في عالم الواقع أن يطيع القانون الذي لا مفر منه ، والذي يجب على الإنسان الذي يتمتع بالعقل أن يطيعه ، فهو القانون الأسمى وهو " العيش وفقا للطبيعة"، وكما يقول "زينون" هذه هي سعادة الإنسان، وخيره الرئيسي، ونهاية وجوده.[٩]

لذلك؛ ارتبطت الرواقية المبكرة بأصول ما تطور في النهاية إلى " القانون الطبيعي" ، فقد تصور الرواقيون قانونا عاما ينطبق على الجميع ، وهو قانون يختلف جوهريا عن القوانين التي تنظم الحياة في دولة سياسية معينة، وهكذا فإن

---

(٥) ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثاني، الكتاب السابع، فقرة ٤١. ص ١٤٥

٦ ف. نرسيسان : الفكر السياسي في اليونان القديمة، ص ١٧٩.

7 - Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy, Oxford University Press ,1992, p.195.

٨ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٦.

9 William Tuner :History of philosophy , Boston, U.S.A., and Ginn & Company, Publishers, London, 1903. p. 171.

الفكر الرواقي ، يبدو أنه طور فكرتين وهما فكرة العالمية(المدينة الكونية) وفكرة القانون الشائع ، اللتين كانت لهما أهمية كبرى في تاريخ الفكر السياسي.[١٠]

وعلى ذلك؛ سنحاول من خلال هذا البحث أن نجيب عن عدة تساؤلات والتي من أهمها:

- **ما هو مصدر القانون عند الرواقيين؟**
- **ماهي مقومات ومعالم القانون الطبيعي لديهم؟**
- **ما هي علاقة القانون بالعدالة عند الرواقيين ؟**
- **ما المضمون الأخلاقي للقانون الطبيعي عند الرواقيين؟**
- **ما المضمون السياسي لفكرة القانون الطبيعي عند الرواقيين؟**
- **ما مدى تأثير الرواقية في الفكر القانوني الروماني؟**

وللإجابة عن هذه التساؤلات ينبغي تقسيم هذا البحث إلى العناصر التالية:-

أولا: نظرية القانون الطبيعي عند الرواقيين

١. الأصل الطبيعي (الإلهي) للقانون عند الرواقيين(فكرة القدر).
٢. مبدأ العلية (الضرورة) كمقوم من مقومات القانون الطبيعي في الفلسفة الطبيعية الرواقية.
٣. العلاقة بين القانون والعدالة لديهم.

ثانيا: المضمون الأخلاقي لفكرة القانون الطبيعي عند الرواقيين.

١- مبدأ العيش وفقا للطبيعة.
٢- الإرادة الإنسانية بين الحتمية الفيزيائية والحرية الفردية.

ثالثا: المضمون السياسي لفكرة القانون والعدالة الطبيعية عند الرواقيين(المدينة الكونية).

رابعًا: صدى نظرية العدل والقانون الطبيعي الرواقي في التشريع الروماني

خامسًا: شيشرون ومدى تأثر الفقه الروماني بالفلسفة الإغريقية في مفهوم العدالة.

أولا :- **نظرية القانون الطبيعي عند الرواقيين:-**

يرى الرواقيون أن الأخلاق وحدها دون سياسة ، هي القوة المحركة للأفراد، وأن القانون الطبيعي هو كافٍ لتنظيم العالم وترتيب حياة العالم دون

[10] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the Early Stoa; Oxford university press; 2008, p. 3

حاجة إلى إرشاد أو توجيه.[١١] لذلك يعد الرواقيون من أهم المؤيدين الأوائل للقانون الطبيعي ، باعتباره القانون العام الذي ينطبق على جميع البشر ، وهو مختلف عن تلك القوانين التاريخية المكتوبة المعنية بأي دولة معينة[١٢].

ومن ثم فصلت الرواقية السياسة عن الأخلاق، على أساس أن الكمال أو الفضيلة تكمن في إتباع الأفراد للقوانين الطبيعية دون الحاجة إلى قوانين أو تشريعات مكتوبة، وهنا نرى تشابها كبيرا بين الرواقية في مثاليتها وبين فيلسوف المثالية "أفلاطون" ، في الدعوة إلى إنكار القوانين الوضعية في المرحلة المثالية من فكره السياسي قبل أن يتحول إلي المفكر الواقعي الذي ينادي بدولة القانون في محاورة القوانين . إلا أن أفلاطون لم يفصل بين السياسة والأخلاق ، بل إنه أقام فلسفته السياسية على أبعاد أخلاقية، ووحد بين العدالة والفضيلة(السعادة) ، واعتبر ان الرجل العادل سعيدا، في حين أن الظالم شقيٌ وتعيس.

١- الأصل الطبيعي (الإلهي) للقانون عند الرواقيين(فكرة القدر): -

على النقيض من اللاهوت الأبيقوري الذي أعفى الآلهة من الواجبات المرهقة ، في عوالم الحركة الأزلية، بحيث لا تكون هنالك أي مسئوليات ملقاة على عاتقهم بإزاء ما يحدث في الكون، سوف نجد أن الرواقية تسوي بين الألوهية والعناية السامية التي ترعى كل شيء في كل الأزمان.[١٣]فالإله عند الرواقيين لم يكن في صورة لامبالاة صورة الصور عند أرسطو، أو مثال الخير عند أفلاطون، ولا مبالاة إله ابيقور، بل كان عقلا يحيا في مجتمع البشر ، ويعني بأمورهم ويصرفها، يسري في كل أجزاء العالم ويتجلى في نظامه.[١٤]

فقد رأت الرواقية فيما يتعلق بالتقوى تجاه الآلهة ، أنه يجب أن تعتقد بوجودهم ، وأنهم يديرون العالم بشكل جيد وعادل، ومن ثم عليك أن تطيعهم ، وتذعن لهم في كل ما يحدث وتتبعه طواعية.[١٥]

فالعالم لديهم إلهي ، مأهول بأحياء غير منظورة من الآلهة والجن ، والنار هي العلة الأولى الوحيدة له، بما فيها من عقل وقانون وضرورة وقدر، ، وكل أولئك مترادفات يراد بها المعقولية التامة في الأشياء. فالعالم إلهي معقول تماما ، وهم يذكرون "الإله" ويتوجهون إليه بالصلاة ، ويقصدون النار وقانونها أو "اللوغوس" ذلك "العقل الكلي الذي وقعت بموجبه الأحداث الماضية ، وتقع

---

[١١] فضل الله محمد إسماعيل، محمد سعيد عتمان:-نظرية القانون الطبيعي في الفكر الساسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار،٢٠٠٦م،ص ٢٣

[12] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;Political Philosophy in the Early Stoa; p.4.

[١٣]- مصطفى لبيب: المرجع السابق، ص ٢٨،٢٩.

[١٤] - أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، ص ٤٠٦.

[15] Dana Estes .M.A; Noble Thoughts of The World Greatest Minds, p..39

الأحداث الحاضرة، وستقع الأحداث المستقبلية".[١٦] ولما كان الإله لديهم هو مبدع الوجود كله ، فالعقل الكلي هو قانون به ربطت الأشياء بعضها ببعض رباطا لا يفكك ، وهذا القانون الذي لا يمكن أن يجترح أبدا يسمى بالقضاء والقدر، تلك كانت الفكرة الأولى في الطبيعيات الرواقية.[١٧]

ومع ان كل شيء في العالم خاضع للضرورة أو للقضاء والقدر ، إلا انها ليست ضرورة عمياء، بل هي ضرورة عاقلة لأنها "قانون اللوغوس" والعناية الإلهية التي قد دبرت العالم أحسن تدبير.[١٨]ومن ذلك يتضح ، أن الإله هو مصدر كل ما يجري في العالم من أحداث ، فهو السبب الأول والمباشر للوجود عند الرواقيين ، متمثلا لديهم في النار الحية العاقلة أو اللوغوس . وبالتالي فإن القوانين لديهم لم تكن من وضع البشر, وإنما هي قوانين إلهية طبيعية غير قابلة للتغير أو الاجتهاد من قبل الكائنات البشرية.

لذا كان الرواقي يؤمن إيمانا قويا بقدرة مدبر للكون ، ويشعر أن حياته رسالة أسندها إليه الإله، كما يسند القائد عملا إلى جنوده، وكان المبدأ الأساسي في تعاليم الرواقيين يقوم على إيمان ديني بوحدة الطبيعة وكمالها ، فالحياة الطبيعية في نظرهم كانت تعني التسليم بإرادة الله، والشعور بالاعتماد على قوة عادلة فوق قوة البشر.[١٩] فالعقل الذي أبدع الأشياء جميعا هو الله خالق العالم، وهذا الإله هو في الوقت نفسه جوهر العالم وحقيقته ، لأن العقل (لوغوس)، ليس هو المصدر الذي تجيء منه الأشياء فحسب، بل هو أيضا الجوهر الماثل في كل مكان، والذي صنعت منه الأشياء كافة ، فالعالم هو جوهر الله وهو ما نطلق عليه اسم "الطبيعة" ، والكون من حيث يدبره مبدأ عاقل ، ليس شيئا آخر غير الله، فالله والطبيعة اسمان يدلان على حقيقة شاملة واحدة.[٢٠] ومن ثم انتهت الرواقية إلى القول بوحدة الوجود الطبيعية.[٢١]

فقد توافقت إذن وحدة الفلسفة والتأمل الفلسفي في الفكر الرواقي مع فكرة التماسك العضوي للكون، فجميع اجزاء الكون مترابطة لا تنفصل عن بعضها البعض ، والكون كائن حي ، مبدأه عقل وروح إبداعية ، وكل فرد هو جزء من الجوهر الإلهي ،الذي يتغلغل كل أجزاء الكون المترابطة، وقد أطلق الرواقيون على هذا الترابط العضوي للكون اسم "التعاطف الكوني أو العالمي" University Sympathy.[٢٢]

---

[١٦] - يوسف كرم: المرجع نفسه، ص ٢٥٠.
[١٧] - عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ١٦٧.
[١٨] - مصطفى لبيب: المرجع السابق،ص ٢٩.
[١٩] - جورج سباين : تطور الفكر السياسي، الكتاب الثاني، ص ٣٣،٣٢.
[٢٠] - عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ١٦٧،١٦٦.
[٢١] - أميرة حلمي مطر: المرجع نفسه، ص ٤٠٤.
[22] -Margret J. .Osler; Atoms ;and Tranquility P. 12.

ربطت الرواقية القانون بزيوس ، من زاوية مادية ، حيث ان زيوس كان ينظر إليه من قبل الرواقيين على أنه إله جسدي،[٢٣] حيث أن كل علة عندهم هي جسم من الأجسام ،وكل حقيقة هي جسمانية ،ولا وجود إلا للجسم ، وما لا جسم له فلا وجود له ، حتى النفس الإنسانية جسم، والإله أيضا جسم. فإذا كان لا جسميا ، فكيف يؤثر في جميع الأجسام التي يتألف منها العالم .مخالفين في ذلك ما نادى به أفلاطون من مثل مجردة ومبادئ مفارقة للمادة.[٢٤]وهم في ذلك متأثرين تأثرا كبيرا بفلسفة هيراقليطس.

فقد أضاف الرواقيون إلى الفلسفة النظر في الأمور الإلهية ، بعد أن كانت قاصرة عند سقراط على الأمور الإنسانية، فجميع الموجودات ومن بينها الإنسان هي أشياء إلهية ، ويقال بالإجمال أن الأشياء الإلهية عندهم هي الطبيعة كلها ، وعلم الأشياء الإلهية يمكن أن يطلق عليه اسم آخر هو علم الطبيعة أو العلم الفيزيقي.[٢٥]

من هنا كانت الدعوة الرواقية إلى ضرورة التوافق بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الخارجية ، أو بين العقل الإنساني والعقل الإلهي أو عقل الطبيعة Logos ، وهما بمعنى واحد عندهم على أساس أن جوهر الإنسان والطبيعة هو العقل ؛ فالعقل الإلهي يكلأ الكل برعايته وعنايته، والإنسان الرواقي مدرك لذلك ، ومن ثم فهو يفعل ما تمليه عليه إرادة الإله المتمثلة في القدر، حيث ان العقل الإنساني إنما هو جزء من العقل الكلي للعالم، وبما أن الجزئي هو فرع الكلي ومنبثق منه فإنه لا يمكن أن يخرج عليه أو يتمرد على قوانينه.[٢٦] فالعقل الإنساني حين يدرك هذه النواميس ، إنما يدرك ذاته ضمن العقل الكلي الشامل.[٢٧]

وبما أن كل شيء في العالم يدين للمبدأ الأكثر كمالا وهو الإله ، فعلاقتنا به يجب أن تكون مثل علاقة الجسد بالروح، فهو يتخلل كل شيء ، فهو العقل والروح والعلة والعناية الإلهية والمصير والطبيعة والقانون العالمي، وكل هذه الأفكار تدل على نفس الشيء من جوانب مختلفة.[٢٨]فهناك إذن توافق خلقي أساسي بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة بمعناها الواسع ، وقد عبر الرواقيون عن هذا بقولهم إن الإنسان عاقل، والإله عاقل. فالنور الإلهي الذي يبعث في الدنيا الحياة قد أودع قبسا منه في روح الإنسان ، وهذا يجعل للإنسان مكانة خاصة بين المخلوقات ، فقد وهبه الله العقل والكلام والقدرة والتمييز بين الخطأ والصواب،

---

[23] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the early Stoa; p.3.

[٢٤] عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ١٥٣.

[٢٥] ـ المرجع نفسه، ص ١٤٩.

[٢٦] ـ مصطفى النشار: الفكر السياسي من صولون حتى ابن خلدون، ص ١٤٦.

[٢٧] ـ عثمان أمين : الفلسفة الرواقية، ص ١٣٨.

[28] E .Zeller; Outline of History of Greek Philosophy ; p.233.

وهو بذلك يصلح دون سائر الكائنات الحية للحياة الاجتماعية التي هي له من الضرورات.[٢٩] فعلى الرغم من ان الرواقيين ، قد أقاموا المعرفة على الإدراك الحسي ، فقد كانوا تجريبيين ، بل حسيين، ومع ذلك أكدوا العقلانية أو المذهب العقلي Rationalism ، فمن خلال العقل وحده يمكننا أن نعرف نسق الواقع.[٣٠]

ومن ثم؛ آمن الرواقيون بأن القدر الإلهي هو الذي يتحكم في جميع الأحداث التي تجري في العالم الطبيعي .[٣١] حيث أن القدر- كمبدأ حاكم ومهيمن وفي الوقت لوغوس الكون – يظهر كقانون طبيعي أو شامل ، وهو مقدس بطبيعته ، ومتوحد في الحقيقة مع الله.[٣٢] وعلى ذلك؛ فإن مصدر القانون عند الرواقية إلهي طبيعي، على أساس أن الرواقية قد وحدت بين الإله والطبيعة.

٢- مبدأ العلية (الضرورة) كمقوم من مقومات القانون الطبيعي في الفلسفة الطبيعية الرواقية.

إن النتيجة المترتبة على الإيمان بالعقل الإلهي المبثوث في الكون والذي يجعل منه وحدة عضوية ، لن نجد فيه إلا ما هو مصبوغا بالصبغة الإلهية ، إنما هي التسليم بجبرية صارمة تضم جميع الحوادث في سلسلة محكمة من العلل والمعلولات ، وتصبح المصادفة مرادفة للجهل الإنساني بحقيقة الوجود، وهو ما يمكن أن يعد استباقا لدعوة اسبينوزا في التوحيد بين معنى "الوجود " ومعنى "الضرورة".[٣٣]

ومن ثم يمكننا استخلاص مبادئ القانون الطبيعي في ثنايا فلسفة الطبيعة عند الرواقيين من خلال قولهم بفكرة العلية والتتابع أو التسلسل المنطقي للأحداث الكونية. حيث ان كل شيء في العالم بالنسبة للرواقيين واحد، ويتم بواسطة عمل المبدأ الفعال ، فهم يعتبروا أنه هناك مبدأين لكل الأشياء (فاعل ومنفعل) المنفعل هو المادة عديمة الجوهر، والفاعل هو الإله الذي يصنع كل شيء ، الذي هو أيضا العقل والقدر وزيوس ، وكلها أسماء متعددة لشيء واحد (وحدة الوجود) Pantheism.[٣٤] فقد جعل الرواقيون هذه العلة الكونية الصارمة مرادفة لقانون

---

[٢٩] - جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٣٣. فالحياة الاجتماعية بالنسبة للرواقيين هي ضرورة اجتماعية، فالشخص الخير السامي ، لا يمكن أن يحيا في عزلة، نظرا لأنه مفطور بطبيعته على الحياة وعلى التصرف في الجماعة(انظر: ديوجين اللائرتي، ف ١٢٣، ص ٢٠٠)

[٣٠] - ف. كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول، ص ٥١٧،٥١٨.

[٣١] - محمود مراد: الحرية في الفلسفة اليونانية، ص ١٠٩.

[٣٢] - ف. نرسيسان: الفكر السياسي في اليونان القديمة ، ص ١٨٠.

[٣٣] - مصطفى لبيب عبد الغني: المرجع نفسه، ص ٣١.

[34] R.W. Sharples; Stoics ;Epicureans ;Sceptics :An introduction to Hellenistic philosophy ;

وانظر أيضا ديوجين اللائرتي: ف ١٣٥، ص ٢٠٦. .Routledge London ,1996, p.43:

القدر ، حيث كان القدر لديهم في حقيقته هو "سلسلة العلل المتعاقبة".[٣٥]فهناك إذن ضرورة مطلقة وارتباط ضروري بين العلل والمعلولات يفرض نفسه على الأحداث ، وهذا مضمون ما يسمونه "بالقدر" أو "بالعناية الإلهية" .[٣٦]

من هذا المنطلق رأى الرواقيون أن كل الحقائق ضرورية، وقبلوا بالتأكيد بالسببية العالمية, وتشهد نصوص عديدة على مفهومهم عن المصير الشامل ، الذي لا مفر منه ، والذي يتماثلون معه إرادة زيوس، يقول كريسيبوس الرواقي.[٣٧] " أنه لا يوجد فرق بين ما هو ضروري والقدر، ويصف القدر بأنه سلسلة من الأسباب أو العلل.[٣٨]

تذهب الرواقية إلى ان العالم حي له نفس حار هو نفس عاقلة تربط أجزاءه وتؤلف منها وحدة متماسكة، فالحرارة او النار هي المبدأ الفاعل ، والمادة المبدأ المنفعل، ثم تحولت النار في الخلاء اللامتناهي إلى هواء، والهواء إلى ماء ، والماء إلى تراب، وانتشر في الماء نفس حار ولد فيه "بذرة مركزية" هي قانون العالم" اللوغوس" بمعنى انها تحوي جميع الأجسام و جميع بذور الأحياء ، فانتظم العالم بجميع أجزائه دفعة واحدة ، وأخذت الموجودات تخرج من كمونها شيئا فشيئا، ولا تزال تخرج "بقانون ضروري" أو "قدر" ليس فيه مجال للاتفاق.[٣٩] ثم يأتي وقت يحترق فيه العالم ويعود إلى النار الأزلية ، ولكن زيوس يعود فيخلق العالم من جديد ، وهكذا تتوالى الدورات في عود أبدي تتكرر فيه ما يسمونه بالسنة الكبرى و تتكرر فيها نفس الأحداث وهذه الدورات قد نظمت بحسب خطة مرسومة وعناية إلهية ووفق قانون ضروري وحتمي .[٤٠] فتاريخ العالم هو سلسلة لا نهاية لها من الخلق والتدمير ، تخضع لنفس القوانين ، إذ أن مبدأ الضرورة يحدد سلسلة غير قابلة للتغيير من الأسباب والنتائج لكل الأحداث.[٤١] وهذا ما يمكن تسميته "القدر" (لأن هذه القوانين لا تسمح بأي استثناء) أو العناية الإلهية (لأن القوانين وضعها الله من أجل الخير) ،إذ أن النظام المصمم إلهيا يسمى

---

[٣٥] محمود مراد: المرجع نفسه، ص ١١٢.

[٣٦] محمد علي ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي ، الجزء الثاني(ارسطو والمدارس المتأخرة) ، دار المعرفة الجامعية، ط٣، الإسكندرية، ١٩٧٢م، ص ٢٨٦.

[٣٧] كريسيبوس Chrysippus of Soli (٢٠٨-٢٨٠ق.م) هو ثالث رؤساء المدرسة الرواقية، بعد كلينياتس ، درس في الأكاديمية، له العديد من الكتابات والأطروحات الكاملة، ولكن لم يتبق منها سوى شظايا ، نقلها بلوتارخوس وجالينوس.انظر:-

-Antony Preu; Historical Dictionary of Ancient Greek philosophy , the Scarecrow press, Inc;U.S.A. 2007, p. 74.

[38] R.J. Hankinson; Cause and Explanation in Ancient Greek Thought; Clarendon press, Oxford, 1998, p.253.

[٣٩] - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٩.

[٤٠]- أميرة حلمي مطر: المرجع نفسه، ص ٤٠٥.

[41] E. Zeller; Outline of History of Greek Philosophy ; p .235..

بالطبيعة [٤٢]وهنا نلاحظ تأثر الرواقية القديمة بطبيعيات هيراقليطس ، في قوله بالنار كمبدأ للوجود.

لقد آمن الرواقيون بسيادة مبدأ العلية ، وقالوا أن هذا الكون واحد ، يشمل على كل ما هو موجود ، وهو محكوم بمبدأ حي فعال وعاقل يمسك بالزمام الأزلي لكل ما يوجد ولكل ما شأنه أن يتتابع في نظام معين، والأحداث الأولانية ، علل لتلك التي تتلوها ، وعلى هذا تكون جميع الأشياء مرتبطة فيما بينها بعضها بالبعض الآخر، فمن كل شيء حادث يتلو شيء آخر معتمد عليه بالضرورة بما هو علة له- وهذا ما عبر عنه د. عثمان أمين في كتابه عن "الفلسفة الرواقية "بمصطلح "التعاقب المطرد" أو "علاقة المعية"- ، وطبقا لرأيهم تكون الحادثة اللا معلولة مساوية في الحقيقة لما هو مستحيل، شأنها في ذلك شأن الخلق من العدم، فالأشياء جميعا تحدث بضرورة حتمية ، ونفس القانون يصدق على الجمادات ويصدق أيضا على الأحياء.[٤٣]

وقد قال الرواقيون بأن حوادث العالم بأسرها إنما تحدث طبق نظام مرسوم لا يتبدل: فالعقل الذي يدبر العالم باقٍ على اتساق مع نفسه ، وفي مأمن من ان يلحقه الخلل او الاضطراب، وهو بهذا الاعتبار كالقضاء والضرورة :ومن ثم تحل فكرة الجبر محل فكرة الكون ، ويستعاض عن الصيغة السقراطية المشهورة" لا علم إلا للعام" بهذه الصيغة "لا علم إلا للضروري".[٤٤]

ويرى كريسيبوس أن القدر هو ترتيب طبيعي متصل لجميع الأشياء ،فهو سلسة الأسباب والعلل والتي تعرف أيضا بالعناية الإلهية، فلا شيء يحدث دون علة ، والمصادفة لا وجود لها.[٤٥] لذلك ؛ نجد أن المنطق الرواقي يختلف عن المنطق الأرسطي ، فإذا كان أرسطو قد تحدث عن كائنات جوهرية وماهيات أزلية ثابتة ،كان حديث الرواقيين يدور حول علاقات التعاقب والتتالي للظواهر والموجودات ، أي ان المنطق الرواقي قد عوض عن فكرة الماهية الأرسطية ، بفكرة القانون وفكرة النظام الثابت لتعاقب الأحداث في الطبيعة.[٤٦] فقد أضحت الحتمية لأول مرة في تاريخ الفكر الفلسفي – على أيدي الرواقيين- عقيدة يؤمن بها المفكر في الميادين الأنطولوجية والإبستمولوجية والأخلاقية على حد سواء،

---

[42] Antony Kenny :-Ancient philosophy , Clarendon, Oxford , U.S.A, 2004, p.99.,

[٤٣] - مصطفى لبب عبد الغني : المرجع السابق، ص ٣٤-٣٦.

[٤٤] - عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٣٦.

[45] R.W. Sharples; Stoics ;Epicureans ;Sceptics :An introduction to Hellenistic philosophy, P.49.

[٤٦] - جلال الدين سعيد : فلسفة الرواق (دراسة ومنتخبات)، مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩م، ص ٢٥.

فالقانون الإلهي يضبط كل كبيرة وصغيرة ويحدد موقعها ووظيفتها ،سواء في المجال الطبيعي أو السلوك البشري.[٤٧]

إن كل ما يحدث في الكون –فيما يرى الرواقيون- يحدث وفقا لضرورة منطقية لا يباح فيها أي استثناء ،وبذلك يكون الإنسان خاضعا لهذه الضرورة أو القدر، وقبول ما تأتينا به الحياة هو امر لا مفر منه، وهو في الوقت ذاته مظهر من مظاهر الحكمة.[٤٨] حيث أن الضرورة عند الرواقيين ليست وليدة الاتفاق ، ولا الضرورة العمياء، بل الضرورة العاقلة ، فكل ما يحدث مطابق للطبيعة الكلية ، فالعالم واحد جميع أجزائه مترابطة متضامنة.[٤٩]وقد ترتب على ذلك توحيد الرواقية بين الوجود المادي والجوهر الروحي، وذلك خلافا لسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين افترضوا التمييز الكامل بينهما بحيث يعلو المعقول على المحسوس، إلا انها قد تأثرت بأفلاطون في نظريته الطبيعية والأخلاقية ، فالكون الذي تصوره أفلاطون في "تيماوس" على أنه كائن حي فيه نفس وعقل ولا تجري الأحداث فيه بطريقة عشوائية ، وإنما على اساس خطة وتدبير إلهي قد انتهى إلى نظرية تفسر اتباع الطبيعة على أنه اتباع للعقل والتدبير الإلهي كما تذهب الرواقية. [٥٠] إذ يعتقد زينون –كما يروى شيشرون - أن القانون الطبيعي هو قانون إلهي ، وأنه يظل قائما بتحكمه في الأضداد واحتوائه لها.[٥١]

ومما سبق يتبين انه من أهم خصائص القانون الطبيعي عند الرواقية ما يلي:

- أنه ضروري : فكل ما يحدث في الكون ، يحدث بالضرورة وفق نظام حتمي صارم غير قابل للتبديل
- أنه متفق مع العقل الإلهي الكلي الشامل مما يجعله مظهرا من مظاهر الحكمة العالية التي تسمو على أي قانون مكتوب من وضع البشر.
- أنها تجعله أقرب ما يكون إلى فكرة القضاء والقدر التي ترجع أصولها إلى المرحلة الأسطورية.

وعلى ذلك فإن اللوغوس الذي كان يعني عند هيراقليطس القانون العام للواقع، ينطوي عند الرواقيين على ثلاثة أوجه تتسم جميعها بقدر كبير من الأهمية، بالنسبة لتطوراته التي جاءت فيما بعد.

الأول أنه قانون الطبيعة الذي تتحرك الأشياء طبقا له، والبذرة الإلهية أو القوة الإلهية المبدعة والخالقة لحركة سائر الأشياء .

---

[٤٧] - محمود مراد: الحرية في الفلسفة اليونانية. ص ١٠٩.

[٤٨] - محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٠٥.

[٤٩] - يوسف كرم: المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

[٥٠] - أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، ص٣٩٩،٤٠٠..

[٥١] - جلال الدين سعيد : المرجع نفسه ، المنتخبات، ص ٩٤.

وثانيا: أنه القانون الأخلاقي ، الذي يمكن أن يطلق عليه مع ايمانويل كانط " العقل العملي"، القانون الفطري في كل موجود إنساني يقبل ذاته كشخص ، بعظمة وكرامة الشخص.

والثالث: قدرة الإنسان على إدراك الواقع ،وهو ما يمكن أن يطلق عليه "العقل النظري" ، فبما أن الإنسان يتمتع باللوغوس في داخله ، فهو يستطيع أن يكتشفه في الطبيعة والتاريخ ، وبما أن الرواقية تميزت بنزعة تشاؤمية ، فلا يستطيع أن يصل إلى هذا الوضع المثالي إلا القلة وهم الحكماء، أما سائر الآخرين كانوا حمقى (جهلاء).[٥٢]

٣- العلاقة بين القانون والعدالة عند الرواقيين:-

نظرت الرواقية إلى مفهوم العدالة على انها أمر طبيعي ،ولذلك فهي ثابتة لا تتغير، وأن الحياة المثالية هي تلك التي تعبر عن هذه العدالة المقررة بمقتضى ذلك القانون، الذي ينبثق من واقع حكم العناية الإلهية للعالم كله، ويتداركه العقل البشري، وهذا الدستور واحد في كل زمان ومكان ،ويلزم الناس بأحكامه، وكل تشريع يخالف أحكام هذا الدستور ، لا يستحق أن يكون قانونا. [٥٣]

على ذلك فإن العدالة عند الرواقيين هي التناغم والاتفاق مع القانون الكلي الشامل، وبما أن العيش وفقا للطبيعة هو في حد ذاته فضيلة وخير –كما سبقت الإشارة- فإنه بالتالي تكون العدالة لديهم فضيلة في حد ذاتها، دون حاجة إلى قوانين أو تشريعات وضعية.

وفي ضوء ذلك ،هناك من الرواقيين من يقسم الفضائل إلى أولي و ثانوي تابع للأولي ، ويعدون العدالة من الفضائل الأولية، كما أنهم يوحدون بين الفضائل والخيرات، وهي في رأيهم تكون عادلة ، من حيث أنها تتناغم مع القانون وتنحو نحو لم شمل المجموع.[٥٤] وفضلا عن ذلك ؛ فإنهم يذهبون إلى أن الفضائل يشتمل بعضها على البعض الآخر، وان الاستحواذ على واحدة منها يعني الاستحواذ عليها جميعا، وذلك لأنها لها مبادئ مشتركة،[٥٥] وهذا إنما يذكرنا بقول سقراط ومن بعده أفلاطون بأن الفضيلة واحدة .

وإذا كانت الفضيلة عندهم تقوم على مبدأين هما: أن العالم محكوم بقانون شامل ثابت ليس فيه استثناء، وأن طبيعة الإنسان الأساسية طبيعة عاقلة ، فصاغوا آراءهم الأخلاقية في هذا المبدأ "عش على وفاق مع الطبيعة" والذي يعني بدوره

---

[٥٢] - بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي : من جذوره الهيليتيستية واليهودية حتى الوجودية، الجزء الأول ، ترجمة: وهبة طلعت أبو العلا، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٢م، ص ٥٣.

[٥٣] فضل الله محمد إسماعيل، محمد سعيد عتمان:-نظرية القانون الطبيعي في الفكر الساسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار،٢٠٠٦م،ص ٢٤.

[٥٤] ديوجين اللائرتي: المصدر نفسه، ف ٩٨،٩٢،٩٩، ص ١٨٠-١٨٥.

[٥٥] ديوجين اللائرتي: ف ١٢٥،ص ٢٠٢.

شيئين: أولهما :أن يعمل الناس على وفاق الطبيعة بمعناها الواسع ، أي قوانين الطبيعة التي تحكم العالم، وثانيهما : أن يعملوا وفق الطبيعة بمعناها الضيق ، أي حسب أهم شيء في طبيعتهم الخاصة وهو الجزء العاقل ، فيسير الإنسان على حسب ما يرشده إليه العقل خاضعا لقوانين العالم ، فتكون حياته حياة أخلاقية.[٥٦]

لقد نادى زينون واتباعه بقوة القانون الطبيعي، وبتعظيم هذه القوة حتى تتحقق العدالة للأفراد، وأن الأفراد متساوون أمام هذا القانون ، ولكل منهم من الحقوق قدرا مساويا للآخر.[٥٧]ومن ثم؛ يتضح أن العدالة التي هي من الفضائل الأساسية عند الرواقية تعني أيضا إتباع القانون الطبيعي ، فالعدالة عند الرواقيين –إذن- على غرار القانون هي عدالة طبيعية أو عدالة إلهية باعتبار أن الطبيعة والإله شيئا واحدا. فالعلاقة بين القانون والعدالة عند الرواقيين- فيما ترى الباحثة – لم تكن علاقة سببية (سبب ونتيجة) ولا هي علاقة غائية (أي وسيلة وغاية) بل هي علاقة تلازم، يوجدان معا ويغيبان معا، أي أن العدالة والقانون مصدرهما إلهي طبيعي ، و القول بأن القانون الطبيعي هو العيش وفقا للطبيعة مساوٍ للقول بأن العدالة الطبيعية هي العيش وفقا للطبيعة.، فعندما نقول أن العدالة عند الرواقيين عدالة طبيعية، هو نفسه القول بأن القانون عندهم هو قانون طبيعي.

تمسك الرواقيون-إذن- بالرأي القائل إن العدالة في علاقات الناس في المجتمع ، لم تنبثق من أي شيء سوى المواثيق الطبيعية بين الناس، أي تطابق علاقاتهم مع القانون الشامل للكون. لقد فهموا القانون الطبيعي كتجسيد للعدالة الشمولية التي تلعب دورا في النموذج للعلاقات بين الناس في المجتمع السياسي (الدولة) ، وللقوانين التي يصدرونها.[٥٨]

ويروي ديوجين اللائرتي أن الرواقيين يذهبون إلى القول بأن العدالة – مثلها في ذلك مثل القانون والمنطق السليم – موجودة بالطبيعة والفطرة وليس بالعرف والعادة ، على نحو ما يخبرنا "كريسيبوس " في كتابه " عن الجمال"[٥٩] كما أن العدالة عندهم لا تقام إلا في ظروف مماثلة ، فلا يحق لنا أن نطرح سؤالا لإقامة العدل بين الإنسان ، وسائر المخلوقات الأخرى ، وذلك بسبب عدم التماثل بين الطائفتين في الطبائع ،على نحو ما يذكر لنا "كريسيبوس" في كتابه "عن العدالة".[٦٠] أي أن العدالة لا تنطبق إلا على حالات مماثلة ، فتنطبق على بني البشر دون غيرهم لاشتراكهم في الطبيعة العقلية.

---

[٥٦] صخري محمد: المدرسة الرواقية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٨.

[٥٧] حسن خليفة: تاريخ النظريات السياسية وتطورها، ص ٣٤.

[٥٨] ف. نرسيسان، المرجع نفسه، ص ١٨٢.

[٥٩] - ديوجين اللائرتي: المصدر نفسه، ف ١٢٨ ، ص ٢٠٥.

[٦٠] - ديوجين اللائرتي: المصدر نفسه، ف ١٢٩، ص ٢٠٥.

وأخيرا فإن القانون عند الرواقية هو قانون أخلاقي مصدره الطبيعة والإله وليس قانونا سياسيا مصدره دولة ما أو مجتمع معين، وكذلك العدالة لديهم هي عدالة أخلاقية وليست عدالة سياسية .

ثانيا:- المضمون الأخلاقي لفكرتي القانون الطبيعي والعدالة الطبيعية عند الرواقيين:-

يعتبر حديثنا عن المضمون اللاهوتي والطبيعي والمنطقي للعدالة والقانون عند الراقيين ، بمثابة مقدمة نظرية للهدف العملي الأخلاقي لها عند الرواقيين، فالفلسفة الرواقية هي في المقام الأول فلسفة عملية أخلاقية، تهدف إلى العمل والتطبيق دون الوقوف على النظر فقط ، ويتمثل ذلك – في رأينا- في فكرتين أساسيتين وهما: الأولى هي: الرغبة في إتباع الطبيعة والعيش وفقا لها ، والثانية والتي نعتبرها نتيجة منطقية للأولي وهي فكرة المدينة العالمية.

١- مبدأ العيش وفقا للطبيعة

نظر سينيكا وهو ينتمي للرواقية المتأخرة متفقا في ذلك مع الرواقية المبكرة إلى الفلسفة بوصفها علما للسلوك، يقول "الفلسفة ليست أي شيء، وإنما هي العلة الطبيعية للحياة، أو هي فن تنظيم الحياة الطبيعية، فلن تخطئ إذا قلت بأن الفلسفة هي قانون الحياة، ومن يقول هذا الحكم عن الحياة، فهو الذي يسمى بالحكيم" ، فالفلسفة تختص أساسا بالسلوك وتعتمد غاية الحياة أو السعادة على الفضيلة ، التي هي بالمعنى الرواقي الحياة الطبيعية أو العيش وفقا للطبيعة.[٦١] حيث أن السلوك الأخلاقي هو في الأساس حياة منسجمة مع العقل (اللوغوس) ، فالحياة الأخلاقية تكشف عن الطبيعة الحقيقية للُوغوس ، فإذا كان العقل الإلهي هو المبدأ المحرك للكون فإنه يتجلى بوضوح من خلال السلوك الأخلاقي.[٦٢]

وقد كان زينون هو أول من اطلق هذه العبارة –الحياة وفقا للطبيعة-من الرواقيين في مقالته "عن طبيعة الإنسان"، قاصدا بها التأكيد على ان الغاية التي يسعى إليها السلوك الإنساني هي العيش وفقا للطبيعة التي هي نفسها في نظره الحياة الفاضلة. فقد اعتبر ان الغاية التي تقودنا لها الحياة الطبيعية هي الفضيلة.[٦٣]لأن الفضيلة الوحيدة ، التي هي الخير بالنسبة للإنسان هي جهوده لبلوغ القانون العام لطبيعته.[٦٤] فوظيفة الإنسان أن يكتشف في نفسه العقل الطبيعي

---

[٦١] كوبلستون: تاريخ الفلسفة (المجلد الأول) ، ص٥٢٨.

[62] Margret J. Osler :Atoms ;and Tranquility (Epicurean and Stoic themes in European Thought p.11.

[٦٣] - مصطفى النشار: الفلسفة اليونانية من منظور شرقي(المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهللينستي)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢٠٣.، وانظر أيضا ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، ف (١٠٨) ص١٩٠

[64] E. Zeller ;Op. Cit; p. 238.

، وان يترجم عنه بأفعاله ، أي أن يحيا وفق الطبيعة والعقل.[٦٥] حيث أنه يجب توجيه إرادة الشخص بحيث تمتزج بالطبيعة بدلا من أن تعارضها.[٦٦]

لقد كان زينون أول من نادى بأن الغاية المرجوة هي العيش على وفاق الطبيعة، وهو ما يرادف الحياة على وفاقا للفضيلة، وذلك لأن الطبيعة توجه خطأنا وترشدنا إلى الفضيلة، ومن ناحية أخرى فإن الحياة على وفاق الفضيلة مرادفة للحياة وفقا للخبرة المستمدة من مجريات أحداث الطبيعة ومسارها، وذلك وفقا لما يذكره "كريسيبوس" في الجزء الأول من كتابه "عن الغايات" : ذلك أن طبائعنا (كأفراد) عبارة عن أجزاء من طبيعة العالم بأسره.[٦٧]

ومن ثم ؛آمن الرواقيون بحكم الطبيعة وقوانينها ، لأن القانون الطبيعي في رأيهم محدد غير قابل للتغيير، ولهذا استمدوا آراءهم الخاصة في العلاقات الاجتماعية من الطبيعة، ويرون أن الإنسان الذي ينشد حياة أفضل يجب عليه أن يندمج اندماجا تاما مع الطبيعة، ويفضل أن يعيش وفقا للقانون الطبيعي.[٦٨] وعلى ذلك ؛لا تنفصل فكرة الواجب الأخلاقي عند الرواقيين عن فكرة الطبيعة: فالواجب عندهم في معناه الواسع جدا، هو الملائم للطبيعة ، والموافق لطبيعة الفاعل الأخلاقي .[٦٩]

إن الهدف الأسمى للحياة البشرية –فيما يرى الرواقيون- ليس هو التأمل، بل العمل وفقا للقوانين الكونية الطبيعية التي هي ارادة الإله، وهذا العمل هو فضيلة والتي يعدها "شيشرون" سببا للاستقامة، ومن ثم فإن الثراء والمتعة والصحة والشرف ليست خيرات بالمعنى الحقيقي للكلمة.[٧٠]

تقوم التعاليم الرواقية على المبدأ المشهور" العيش وفقا للطبيعة" ، والذي تتحقق به الفضيلة ، و ومن خلاله يتم الخضوع للقانون الكلى الذي يسرى على كل شيء في الوجود، والمقصود بالطبيعة هنا هو العقل ، لأنه هو الطبيعة التي تميز الإنسان ، فينبغي على الإنسان ان يعيش وفقا للطبيعة وبالتالي وفقا لمبادئ السلوك العقلي.[٧١] وقد اعتبر الرواقيون أن العقل هو أفضل طريق لتحقيق أسمى الغايات في الحياة، فعلى الإنسان أن يستكشف في نفسه العقل الطبيعي، وأن يترجم عنه بأفعاله ، أي ان يحيا وفق الطبيعة والعقل، وبالعقل يدرك الإنسان أنه جزء من الطبيعة الكلية ، وأنه تابع لها.[٧٢] فلأن العقل هو الملكية العامة لجميع الناس، فإن

---

[٦٥] - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٥١.
[٦٦] - برتراند راسل: حكمة الغرب، ص ١٦٩.
[٦٧] - ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة(المجلد الثاني ، ف ٨٧، ص ١٧٨.
[٦٨] - فضل الله اسماعيل، محمد سعيد عتمان: المرجع نفسه، ص ٢٤.
[٦٩] - جلال الدين سعيد: فلسفة الرواق، ص ٤٥.
[70] William Turner :- History of philosophy; p. 171.
[٧١] - محمد مهران رشوان: المرجع نفسه، ص ١٠٣.
[٧٢] - محمد الخطيب: الفكر الإغريقي، ص ٢٣٢.

هذه الحياة الأسمى ، أي الحياة وفقا للطبيعة، تكون متاحة، على الأقل من الناحية النظرية لكل الناس.[٧٣]

من هنا احتقرت الرواقية الأهواء والملذات ، واعتبرتها مخالفة لمنطق العقل، أي مخالفة لطبيعة الإنسان ، وطالبوا باستئصالها ما امكن ذلك، وهذه هي حالة "الأباثيا" الرواقية، فالحياة حرب يشنها العقل ضد الشهوات والأهواء ومحوها من الوجود.[٧٤]وفي كل هذا يتبين بسهولة ملامح نزعة كلبية جديدة ، غير أن الرواقيين عدلوا الخطوط الفجة للكلبية ، وخففوا زواياها الحادة، فقد بدلوا مبدأهم بشأن القضاء الكامل على الانفعالات، فالشخص الحكيم قد يعرض بعض الانفعالات والعواطف المعتدلة والعقلية وإن كان لا يسمح لها إطلاقا بالنمو.[٧٥]حيث أن الفضيلة بالنسبة للكلبيين أيضا كانت تتمثل في مبدأ" العيش وفقا للطبيعة" ، إلا انه كان شعارا سلبيا إلى حد كبير، ينطوي على رفض الأساليب التقليدية في السلوك، إلا أنه بالنسبة للرواقيين كان يتضمن محتوى إيجابيا، وهو العيش وفقا لطبيعتنا البشرية، وكذلك وفقا لطبيعة الكون الذي نحن جزء منه.[٧٦]

٢- الإرادة الإنسانية بين الحتمية الفيزيائية المتطرفة والحرية أو المسئولية الأخلاقية:-

من الممكن القول أن مذهب الرواقيين الفلسفي تسوده نزعة حتمية واضحة تتحكم في كل أجزاء المذهب وهي فكرة الضرورة ، فقد اصطبغت فلسفتهم الطبيعية -كما سبق ورأينا – بحتمية ضرورية صارمة تضع نظاما للأحداث ليس من شأنه إمكانية التغيير أو التعديل ، إنه سنة طبيعية كونية رسمها العقل الكلي أو اللوغوس الذي هو عندهم الإله : ولكن التساؤل هنا إلى أي مدى طبق الرواقيون هذه الحتمية على الإرادة الإنسانية؟ وهل يطيع الإنسان أو الحكيم الرواقي القانون الطبيعي بموجب قوة إلزامية تفرض عليه تلك الطاعة أم أنه يطيع القانون بموجب الشعور بالواجب الأخلاقي وبالتالي الالتزام به عن إرادة حرة؟

إذا كان كل ما في الطبيعة إنما يحدث بالضرورة ، وفق قوانين ثابتة لا تتخلف، وكانت صلة الإنسان الوحيدة بالطبيعة تتمثل في محاكاته لها ، ولا تعدو ان تكون هذه المحاكاة إلا الخضوع لنواميسها ، والرضى بما تجرى عليه.[٧٧]فالأمر المحتوم –في نظر الرواقيين- يأتي من الله ، ومن واجبنا ألا نتغاضى عنه، فعليك

---

[٧٣] ليو شتراوس: الفلسفة السياسية من ثيوكيديدس حتى اسبينوزا، ص ٢٥٤.

[٧٤] - محمد مهران رشوان: المرجع نفسه، ص ١٠٣.

[٧٥] - ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية ،ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م. ص ٢٨٤،٢٨٥.

[76] R.W. Sharples; Stoics ;Epicureans ;Sceptics :An introduction to Hellenistic philosophy, p.101.

[٧٧] - جلال الدين سعيد: فلسفة الرواق، ص ٣٠.

أن تتمسك بإرادة الله، وأن تتغلب على كل شغف، وأن تلغي كل رغبة شخصية لديك تهفو إلي ما يخالف ذلك.[٧٨]

وبالتالي ، فإنه ثمة توتر ظاهر بين الحتمية العلية المادية في الطبيعيات الرواقية وبين الحرية الإنسانية، بين الضرورة الكونية والإرادة البشرية. و الغريب في الأمر أن الرواقيين قد أخذوا بكل من الضدين: فقد ذهبوا إلى أن الأشياء جميعا تمضي بقانون محتوم وقدر مرسوم وتسلسل سببي لا اعتباط فيه ولا مصادفة، وذهبوا في الوقت نفسه إلى أن للإنسان حرية إرادة ، وبوسعه أن يفعل أو يحجم عن الفعل وفق إرادته واختياره.[٧٩]

فالرواقية تقوم على مبدأين أساسيين مع التوفيق بينهما، وهما الحتمية الكونية والحرية الإنسانية ، والأول منهما خاص بالطبيعة ، والثاني خاص بالإنسان، ذلك أن حوادث الكون محكومة بقوانين صارمة ، وليس ثمة في نظر الرواقيين صدفة أو اتفاق، وعندهم أن كل شيء في هذا العالم مسوق نحو غاية ومدبر لخدمة الإنسان، وهذه هي نظرية العناية الإلهية، وعلى الإنسان أن يسعى بإرادته ، ومحض إرادته واختياره إلى أن يتوافق مع القوانين العامة للطبيعة.[٨٠]

إذن يتضح من خلال دراسة الطبيعيات عند الرواقيين أن الأشياء جميعا تنظمها قوانين كلية ضرورية شاملة، وأن الإنسان يستطيع أن يكتشف هذه القوانين ، وأن يسير بمقتضاها ، ولكن اتباعه لهذه القوانين ليس عملا آليا يفرض عليه قسرا كحركة الآلة، إلا أنه يشعر بسلوكه وبأفعاله، وعلى هذا فإن الأفعال الإنسانية الإرادية ولو أنها تسير وفق القانون العام، إلا أنها تمتاز عن الأفعال القسرية بأنها ذات أساس شعوري حي.[٨١]

فقد بحث الرواقيون عن وسيلة للتوفيق بين الجبرية المتطرفة من جهة والحرية والمسئولية الأخلاقية من جهة أخرى، ورأوا أن الإنسان الحر هو الذي يتمكن-في فهمه لضرورة ما يحل به- من التسليم باطنيا بهذه الضرورة ، وبالتالي يكون قد اختارها بحريته- وهو رأي قد تردد صداه في العصر الحديث عند هيجل في تعريفه للحرية بأنها التعرف على الضرورة-. فلكي نستشعر الحرية لابد لنا في نظر الرواقيين أن نستسلم للضرورة ونرضى بالقدر، وكأننا قد اخترناه بحريتنا [٨٢]

---

[78] Dana Estes .M.A; Noble Thoughts of The World Greatest Minds, C.H. Simonds& Co. Bostom ; U.S.A, 1909.p.10,18.

[٧٩] ماركوس أوريليوس: التأملات، التعليق ، ص ٢٨٤.

[٨٠] - أحمد فؤاد الأهواني : المدارس الفلسفية ،الدار المصرية للتأليف والترجمة، الإسكندرية ، ١٩٦٥م،ص ٧٣.

[٨١] - محمد علي ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، المرجع نفسه، ص ٢٨٨.

[٨٢] - محمد مهران رشوان: المرجع نفسه، ص ١٠٦.

حيث أن الفضيلة هي توجيه إرادة الشخص بحيث تمتزج مع الطبيعة بدلا من أن تعارضها.[٨٣]

لم ير الرواقي في الخضوع لقانون القدر أي ضيم عليه أو على حريته، فها هو مرقص اوريليوس يعلن في خضوع كامل " كل شيء يتناغم معك يا إلهي يتناغم معي أنا، فلا شيء يكون مبكراً جدا أو متأخراً جدا والذي يكون في الوقت نفسه مناسبًا لك."[٨٤]وقد اوصى زينون البشر جميعا من أجل بلوغ سعادتهم أن يوفقوا إرادتهم مع كل شيء فرضته عليهم العناية الإلهية، والمجرى العام لسير العالم من حولهم. إن الحرية هي أن اقبل مسروراً كل ما يحدث بوصفه التحقيق الفعلي للخير الذي أدرك أنا نفسي أنه الخير الخاص بي أيضا.[٨٥]لذلك وُصف الرواقيون بأنهم أخلاقيون مثاليون جوانيون يعتبرون الخير هو الإلتزام وعقد النية وانشراح الصدر بما يقضى به الواجب . لقد كانت لديهم حرية جوانية تتمثل في قدرة الإنسان على الحكم بالقبول أو الرفض أو التوقف عن اصدار الحكم على ما يوقعه القدر بساحته.[٨٦]

من هذا المنطلق أقام كريسيبوس النظام الأخلاقي الرواقي على مبدأ الخضوع للطبيعة، فلا شيء يمكنه الهروب من قوانين الطبيعة، ولكن بالرغم من حتمية القدر، إلا أن الإنسان كان حرا ومسئولا ، فإذا كانت الإرادة تطيع العقل فإنها ستعيش وفقا للطبيعة، هذا القبول الطوعي لقوانين الطبيعة ، وهو الذي يشكل الفضيلة لدى الرواقية ، والفضيلة ضرورية وكافية للسعادة.[٨٧]

بناء على ما سبق فإن الفرق الوحيد الذي يميز بين الجاهل والفيلسوف ، هو ان الجاهل " ينقاد للقدر المحتوم قسرا" ، بينما الفيلسوف " ينقاد له طوعا"، فكل ما ينبغي ان يريده المرء هو ما يحدث حقا، وكما يقول إبكتيتوس "يجب أن نرغب في الأمور على نحو حدوثها فعلا" [٨٨] فالشخص الحكيم –كما يذهب الكلبيون واتبعهم في ذلك الرواقيون- هو الذي يدرك الانسجام الإلهي في الكون ، ومن ثم يقبل بحكم القدر، هذا القانون الذي أعطاه للعالم الإله زيوس الذي هو رمز العقل والعناية، ويسهم الحكيم في هذا الرأي لا لشيء إلا لأنه يفهمه، وهكذا لا يتعارض القدر مع حرية الحكيم [٨٩]. وبالتالي فإن الحرية متاحة للحكيم فقط ، أي للرجل الفاضل،

---

[٨٣] - برتراند راسل: حكمة الغرب، الجزء الأول ، ترجمة :فؤاد زكريا، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٨٣م ، ص١٧٠.

[٨٤] - محمود مراد : الحرية في الفلسفة اليونانية، ص ١٢١.

[85] - E. Bevan: Stoic and Sceptics , Barnes & Noble inc, New York,1959, p. 48.

[٨٦] - عثمان امين: المرجع السابق ، تصدير الطبعة الثانية ، ص ٩- ص ١٠.

[87] -Antony Kenny: Op. Cit, p. 99.

[٨٨] - جلال الدين سعيد: المرجع نفسه، ص ٣٠.

[٨٩] - بيير دوكاسيه: الفلسفات الكبرى، ص ٥٨.

والحاكم في عرف الرواقيين يجب أن يميز بين الخير والشر ، والحكماء وحدهم – وهم قلة متفرقة ، يمتلكون المقدرة للحكم، وهم متمكنون من القضاء ويمتلكون الموهبة والفصاحة ، وهذه الأفكار عن الحكماء كحكام حقيقيين لم تكن سوى تعديل للمفهوم الأفلاطوني عن حكم الفلاسفة.[٩٠] ومن ذلك يتضح أن الرواقية بالرغم من إيمانها بالقانون الطبيعي ، وأن البشر جميعا متساوون في الحقوق ، إلا أنها – شأنها في ذلك شأن أفلاطون- لم تجعلها مساواة مطلقة.

الرجل الحكيم هو المثل الأعلى لكل كمال ، جميل وغني وسعيد، يمتلك كل الفضائل والمعرفة في كل شيء يتصرف بشكل صحيح، إنه الملك الحقيقي ورجل الدولة والشاعر والنبي ، إنه خالٍ تماما من الاحتياجات والقلق ، وهو وحده صديق الآلهة.[٩١] ومن هذا يتضح أن الرواقية قد ربطت الحكمة والمعرفة بطاعة قوانين الطبيعة ، كما ربطت الجهل والتحجر بمخالفتها، أي أن العيش وفق الطبيعة هو الفضيلة والخير، أما العيش على غير وفاق مع الطبيعة هو الشر والرذيلة.

ومن ثم لا تعد النعم الدنيوية ذات قيمة كبيرة، فقد يحرم طاغية إنسان من كل الأشياء الخارجية التي يملكها، بل حتى من الحياة ولكنه لا يستطيع أن يسلبه فضيلته، التي هي ملك له متأصل فيه، وهكذا نصل إلى النتيجة القائلة أن الإنسان حين يرفض المطالب الزائفة للخيرات الخارجية، تصبح حريته كاملة ، لأن فضيلته التي وحدها الشيء الجدير بالاهتمام ،لا يمكن أن يؤثر فيها أي ضغط خارجي. [٩٢] فالروح ليست حرة بأي حال من الأحوال ، إلا إذا قيل أنها حرة بسبب أن الضرورة التي تحكمها تأتي من طبيعتها الخاصة، وليس من أي شيء خارجي عنها.[٩٣]

لا يملك الإنسان تغيير مسار الأحداث الذي يحدده العقل الإلهي ، إلا انه قادر على الموافقة أو عدم الموافقة عليها، والرجل الحكيم أو الرجل الأخلاقي هو الذي يجعل إرادته متفقة مع القاعدة الإلهية ، وبالتالي يقمع كل الميول اللاعقلانية ، ويعيش في توافق كامل مع القوانين الإلهية، ولا يحاول تغيير مسار الأحداث في العالم ، بل يتعرف على عمل العقل الإبداعي ، ويحاول أن ينسجم معه.[٩٤] وهنا يمكننا القول بأن الرواقية قد تأثرت بأفلاطون في ربط المعرفة بالأخلاق ، بل اعتبرت أن المعرفة شرط للفضيلة وبالتالي السعادة.

مما هو جدير بالإشارة إليه في هذا الصدد؛ هو أنه إذا كان الواجب الأخلاقي بالمعنى الرواقي هو ملاءمة الطبيعة ، وإذا كانت تلك الملاءمة تتحقق بصورة

---

[٩٠] - ف. نرسيسان : المرجع نفسه، ص ١٨٢،١٨١.

[91] E. Zeeler; Op.Cit, p. 240.

[٩٢] - برتراند راسل : حكمة الغرب، ص ١٧٠.

[93] -William Turner : History of philosophy, Op. Cit, p. 170.

[94] Margret J. Osler Atoms ;and Tranquility (Epicurean and Stoic themes in European; p.16, 24.

عفوية لدى الحيوان وكذلك على مستوى ميول الإنسان وغرائزه الطبيعية، إلا أن تحققها على مستوى الحياة العقلية للإنسان يغدو امرا مترتبا على اختياراته الإرادية الواعية، وعلى هذا الاعتبار فإن المقصود بالعيش الملائم للطبيعة هو العيش وفق الطبيعة الكلية ووفق طبيعة الإنسان العقلية على حد السواء.[٩٥] أو بعبارة أخرى وفقا لطبيعتنا البشرية ، ووفقا لطبيعة الكون، وهي حياة نحجم فيها عن اتيان أي فعل اعتاد القانون العام على تحريمه أو منعه، ونعني بذلك قانون العقل السليم الذي يتغلغل جميع الأشياء، والذي يتماثل مع زيوس حاكم جميع الموجودات ومدبر أمرها ، وهذا العقل يشكل فضيلة الإنسان السعيد، حيث تحقق جميع الأفعال تناغم الروح الكامن داخل كل فرد ، لتتفق مع الإرادة التي تدبر الكون.[٩٦]

يذهب الرواقيون إلى ان الدافع الأول عند الحيوان هو الحفاظ على النفس ، على نحو ما يذكر "كريسيبوس" في الجزء الأول من كتابه "عن الغايات" حيث يقول "إن أحب شيء لدى كافة صنوف الحيوان هو كيانه الخاص"، ولكن عندما وُهب العقل بطريقة أكثر كمالا للمخلوقات العاقلة ، غدت الحياة السليمة وفقا لما يقتضيه العقل بالنسبة إليهم هي الحياة الطبيعية، نظرا لأن هذا العقل قد أصبح هو القائم على تنظيم الدافع الغريزي بكفاءة واتقان.[٩٧]إلا أن هيجل يرى ان ربط الرواقية بين فكرة الشخصية الفردية وفكرة الكون او الطبيعة ، إنما هو نوع من السلبية والاستسلام لما يجري في الحياة ، وهو ما أطلق عليه هيجل اسم "الوعي التعيس" Unhappy Consciousness.[٩٨] إلا ان اللامبالاة الرواقية لم تكن بمعنى ضعف الإرادة، وإنما تشمل فقط اللامبالاة بالأشياء التي لا تتطابق مع اللوغوس الأبدي للكون. فقد فهم الرواقيون اللامبالاة على أنها موقف عقلاني يتطابق مع العقل الكوني، فالرجل الحكيم عند الرواقيين هو رجل متحرر من كل العواطف ، واستسلامه للقدر ليس سوى تعبير عن فهمه قوانين و لوغوس الكون ، إنه يتجنب الشؤون العامة ولكن إلى الحد الذي لا يعاكس فيه فهمه للواجب.[٩٩]

إن الانطباع الجلي الأول عن الفلسفة الرواقية أن أصحابها يعتقدون بالحتمية فيما يتعلق بمسألة السببية ، حيث يعتبرون أن الحاضر نتيجة حتمية لأحداث الماضي، ولكنهم مع ذلك ، يرغبون في الحفاظ على مجال للمسؤولية الأخلاقية ،

---

[٩٥] -جلال الدين سعيد: المرجع نفسه، ص ٤٥.

[٩٦] - ديوجين اللائرتي: المرجع نفسه، ف ٨٨، ص ١٧٨.

[٩٧] - المصدر نفسه ،ف ٨٥. ص ١٧٦.

[98] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ; political philosophy in the early Stoa;p.80.

[٩٩] : ف. نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨١.

بالدفاع عن نسخة للتوافقية بين الحتمية والإرادة الحرة.[١٠٠]فإذا كان كل شيء في العالم ، يطيع القانون الطبيعي ، إلا أن الإنسان تمكن بعقله من معرفة هذه القوانين ، واتباعها بوعي ، وهذه هي الفكرة الأساسية في الأخلاق الرواقية. فقد تصور الرواقيون أن المعرفة الأخلاقية مرتبطة ارتباطا وثيقا بقوة العقل والإرادة[١٠١] حيث ينظر الرواقيون إلى أجزاء النفس على أنها وحدة متألفة، فالعقل والإرادة شيء واحد، والنفس هي التي ترغب وتفكر وتريد، إلا أنها لديهم كائن واحد لا يعرف التقسيم المفتعل، فقد رفض الرواقيون تعريف ارسطو للنفس بأنها "مزيج من عنصري الرغبة والتروي العقلي" ، كما أنها لديهم جسم مادي يتحرك وفقا لنفس القوانين التي تسير العالم المادي من حولها، فلا وجود لحرية الإرادة الإنسانية ، إذا كان العقل والإرادة شيئا واحدا.[١٠٢]

ولكن؛ طبقا لمذهب الرواقيين في الطبيعة ، وأن كل شيء خاضع للضرورة والقدر، إذا كان كل شيء بما فيها النفس الإنسانية جزءا من اللوغوس الإلهي ، وإذا كان الإنسان هو أيضا يقع تحت قانون الجبر والضرورة التي تحكم العالم، حينئذ يكون الله هو المسئول عن الشر الأخلاقي، ولكن الرواقيين لا يريدون هذه النتيجة : وهم يقررون أن الإرادة البشرية حرة ، وأنه إلينا يرجع الأمر في تحقيق الخير الأخلاقي، فإن لنا قدرة على أحكامنا وتصرفاتنا ، لأن انفعالاتنا وأهواءنا مردها إلى أحكامنا على الأشياء ، فنحن إذن مختارون ، ونستطيع أن نحرر أنفسنا من أحداث الحياة، وبعبارة أخرى نرى الرواقيين يقولون بالجبر في ميتافيزيقاهم ويستثنون الإنسان منه في أخلاقياتهم.[١٠٣] ويعرب "كلينياتس" [١٠٤]عن خضوعه للنظام الإلهي للعالم، ويدرك أن الشر في العالم ليس نتيجة القدر ، بل نتيجة إرادة الإنسان.[١٠٥] ولم يكن لدى الرواقية رغبة في تبرئة الظالم من خلال

---

[١٠٠] - د.ديرك بارتسلي: الرواقية، موسوعة ستانفورد ،ترجمة: ناصر الحلواني، ٢٠١٩، ص ١٠،١١.

[101] E. Zellere; Op.Cit. p.237,239.;

[١٠٢] - محمود مراد: المرجع نفسه، ص ١١٥.

[١٠٣] عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ١٩٦.

[١٠٤]كلينياتس الأسوسي (331-230\29B.C) ; Cleanthes of Assos ثاني رؤساء المدرسة الرواقية، درس مع زينون ، اشتهر بترنيمة " زيوس" خلال حيلته، كان في منافسة مع اريستو الكوسي Aristo of Chios الذي كان أقل مهارة من كريسيبوس، وكان مدعوما بقوة من قبل تلميذه وخليفته كريسيبوس. أنظر:

- Antony Preus: Historical Dictionary of Ancient Greek Philosophy ,p. 75.,

[105] Lactantius ;The Hyman of Cleanthes Op. Cit, p. 9.;

قولهم بالحتمية الصارمة، بل تؤكد على أهمية السعي الفردي نحو تحسين الذات والرقي الأخلاقي.[١٠٦]

فالحكيم عندهم حر دون سائر البشر ، لأن الحرية هي القدرة على التصرف باستقلال، والعبودية نقيضها، والرجل الحكيم عندهم لا ينقاد للعاطفة ، وهو إلهي ، فضلا عن أنه لا يتنكر للسياسة، من حيث هي سبيل إلى ردع الرذيلة وبث الفضيلة.[١٠٧]ومن ثم فقد تحولت الحتمية الصارمة في مجال الطبيعة عند الرواقيين إلى حتمية عاقلة تتمتع بقدر من حرية الإرادة في مجال الأخلاق، أي أن الإنسان يطيع قوانين الطبيعة التي هي قوانين إلهية ، ليس جبرا أو قهرا من قوة تعلو عليه، ولكن لأنه تمكن بحكمته وعلمه من معرفة أن طاعته لتلك القوانين هي الخير الأسمى والفضيلة بالنسبة له.

ومن ثم فقد أدرك الرواقيون من خلال رؤيتهم لمبدأ الحياة وفقا للطبيعة، ان للإنسان في حياته العملية وظيفتان :الأولى أن يدرك جوهر الطبيعة الخارجية ، والثانية : أن يدرك جوهره الخاص ، وأنه قد تميز عن كل الكائنات بالعقل ، ومن ثم فعليه أن يتصرف في حياته وفقا للطبيعتين، طبيعته العاقلة المتأملة في الكون، والطبيعة الكونية التي هو جزء منها، ، وهي تشمله برعايتها وتكفل له وسائل حياة والعيش السعيد.[١٠٨]

ومن هذا المنطلق ، فإن الرواقيين قد نظروا إلى "القدر" على أنه القانون الصارم الذي وضعه الإله لمملكته الطبيعية الكونية لكي يسير أمورها ويدبر شؤونها على أكمل وجه ممكن لتحقيق السعادة للجميع، وهي نظرة مختلفة لمفهوم القدر عن النظرة الميثولوجية القديمة ،التي كانت تعد القدر نظاما عابثا لا يحترم مصالح ورغبات رعيته، أو أنه قوة متعسفة تغير مجرى الأمور على غير المتوقع تماما للبشر ، بل أصبح القدر لديهم نظاما غائيا دقيقا ، يسير عبر خطوط واضحة رسمها وحددها العقل الإلهي لتحقيق المصلحة العامة.[١٠٩]

مما سبق يتبين ؛ أن الرواقية قد أحلت المبدأ الأخلاقي " العيش وفق الطبيعة"، الذي هو لديهم التوافق التام بين الطبيعة الكونية (القدر) والطبيعة الفردية محل القوانين الوضعية .

ثالثًا : المضمون السياسي لفكرة القانون الطبيعي عند الرواقية (المدينة الكونية):-

---

[106] R.J.Hankinson; Cause and Explanation in Ancient Greek Thought, p.257.

[١٠٧] - ماجد فخري: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين ابروقلس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٧٦.

[١٠٨] - مصطفى النشار: الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٠٤.

[١٠٩] -محمود مراد: المرجع نفسه، ص ١١٨.

لقد سبقت الإشارة في بداية الحديث عن الرواقية، إلى أن أقسام النظرية الفلسفية عند الرواقيين (المنطق، الطبيعة، الأخلاق) ، لم يكن أي قسم منها بمعزلٍ عن الآخر ، لذلك نجد أن أفكار الرواقيين عن الطبيعة ، قد امتدت إلى المجال الأخلاقي على مستوى الفرد، وكذلك إلى المجال السياسي على مستوى الجماعة. تذهب الرواقية دعما لمذهبها في العناية الإلهية إلى المناداة بالوحدة العالمية البشرية ، فنتيجة لقرب الروح من الإله ، لا يمكنها الهروب من الضرورة التي يفرضها القانون الإلهي على كل الأشياء.[١١٠]حيث أن قول الرواقيين بالتوحيد بين الإله والعالم(وحدة الوجود) ، وكذلك قولهم بأن العالم كائن حي نفسه الإله وجسمه العالم، قد أفضى بهم ذلك –على الصعيد السياسي-إلى وصف العالم بأنه مدينة الإله، مواطنيها البشر والآلهة، يسود جوانبها المختلفة ترابط وثيق يؤلف بين كل موجوداتها وصفه الرواقيون بوصف المشاركة العاطفية الكونية.[١١١]

وانطلاقا من فكرة السمة الشاملة للقانون الطبيعي وبالتالي العدالة الطبيعية، تقدم زينون وكريسيبوس واتباعهما من اليونان والرومان ، بمذهب كوسموبوليتي عن الدولة فقالوا ان كل الناس كانوا مواطنين لدولة عالمية واحدة، سواء بطبيعتهم أو بقانون الكون ككل.[١١٢] وعلى ذلك فالقانون الطبيعي –كما يقرر الرواقيون- يهيمن على العالم وينعكس في وعي الفرد، وبذلك فإن الإنسان يشارك بطبيعته في خلق قانون له طابع عالمي، وقد دفع هذا المفهوم بالرواقيين إلى إسقاط الحدود السياسية، واعتبار الإنسان إنسانا عالميا، أي مواطنا للعالم كله.[١١٣] لذلك اشتهرت الفلسفة السياسية الرواقية المبكرة بتبني منظور عالمي ، حيث أن الرواقيين لا يقصرون مناقشاتهم على دستور دولة بعينها ، وإنما على المجتمع البشري ككل.، فمن بين الإسهامات الأصيلة للفكر الرواقي المبكر في الفلسفة السياسية هي نظريتهم في القانون الطبيعي والمدينة الكونية .[١١٤]

فإذا لم تأت الرواقية بشيء جديد وأصيل في مذهبها الميتافيزيقي والأخلاقي ، إلا أن الفكرة على الأقل التي يستطيعون أن يزعموا أنها من اختراعهم هي فكرة "المواطنة العالمية" ، والتي استمدها الرواقيون من مصدرين : الأول :هو فكرة أن الكون واحد ، ينطلق من الله، وهو منظم بقانون واحد ويشكل نسقا واحدا. والثاني: أنه مهما اختلف الناس في الأمور غير الجوهرية، فإنهم يشتركون في طبيعتهم الجوهرية، وفي عقلهم، ومن ثم فإن الناس جميعا على صعيد واحد ،حيث أنهم مخلوقات عقلية ويجب أن يكونوا دولة واحدة. وانقسام البشرية إلى دول متحاربة ،

---

110 -William Turner: History of Philosophy; p. 170.

١١١ - محمود مراد: المرجع تفسه، ص ١١٤.

١١٢ - ف. نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨٢.

١١٣ - سيد أحمد صقر: فلسفة العدالة عند الإغريق واثرها على فقهاء الرومان، هامش ص ٩٢.

114 Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the early Stoa ,p.3

مسألة لا عقلية وبلا معنى، والحكيم ليس مواطنا لهذه الدولة أو تلك ، إنه مواطن العالم.[١١٥] كل البشر العاقلون الحكماء ، متساوون ومتشابهون فيما بينهم في عالم يجعله العقل متسقا، ولا تحده حدود وطنية أو سياسية.[١١٦]

والرواقية لا تعترف بالقانون المدني ، فالقانون الذي نجده في المدينة هو ليس قانونا بالمعنى الرواقي، بل إن القانون هو القانون الشائع الذي يتطابق مع العقل وزيوس، ومن ثم فإن الكون هو المدينة الوحيدة.،[١١٧]

يقول بلوتارخوس: "كتب زينون كتابا في الجمهورية حقيقا بكال الإعجاب ، ومبدؤه أن البشر لا يجوز لهم أن يتفرقوا إلى مدن وشعوب ، لكل منها قوانينه الخاصة، فالبشر جميعا أبناء وطن واحد، إذ أن حياتهم واحدة والكون الذي يحيون فيه واحد، مثلهم مثل قطيع الأغنام الذي يوحده انقيادهم لقانون واحد "[١١٨] فيصعب إذن من منظور رواقي تصور وجود قانون مستقل لأي مدينة ، إذ لم نفكر بالفعل من منظور تقليد القانون الطبيعي.[١١٩]

فإلى جانب الوحدة الكونية لدى الرواقيين، وإلى جانب القول بوحدة النفس الإنسانية، ينادي الرواقيون بأخوة المواطنة العالمية، فالإنسان مواطن للعالم أجمع ، والكرة الأرضية له بيتا، وهذه وحدة و أخوة معنوية تجمع بين الآلهة والبشر معا وأساسها الاتحاد في الجوهر ، كما ترتب عليها أيضا القول بأن النواميس العامة للعقل الإلهي واحدة بالنسبة إلى البشر جميعا .، ومن ثم ينبغي أن يعتمد عليها البشر جميعا ، ويرجعون إليها في كل القوانين الوضعية التي يشرعونها لأنفسهم ،وذلك لأن قانون مدينة الكون واحد في كل مكان وسامي على كل عرف محلي.[١٢٠] ومن ثم؛ فالمجتمع المدني عند الرواقيين، قائم على مواثيق طبيعية بين الناس ،على جاذبية الواحد للآخر، لذلك أدرك الرواقيون الدولة على أنها التحام طبيعي وليس كتشكيل اصطناعي قائم على ميثاق اجتماعي.[١٢١] وبما أن المجتمع طبيعي بالنسبة للبشر ، فإن الرجل الصالح هدفه هو أن يكون في وئام مع الطبيعة ، وبالتالي – كما يرى كريسيبوس – يؤدي دورا في المجتمع ويزرع الفضائل الاجتماعية ، فمهمة الفيلسوف في رأيه ، ليست هي الاعتكاف على المعرفة، بل هي المشاركة في الحياة العامة.[١٢٢]

---

[١١٥] - ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٨٥،٢٨٦.

[١١٦] - جان توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ص ٤٩.

[117] Katja Maria Voget; Op. Cit, p. 66.

[١١٨] - اميل برهييه: تاريخ الفلسفة الجزء الثاني (الفلسفة الهيلنستية والرومانية)، ترجمة :جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م، مرجع سابق، ص ٨٨.

[119] Katja Maria Voget ; Op.Cit; p. 85.

[١٢٠] - محمود مراد: المرجع نفسه، ص ١١٥،١١٦.

[١٢١] ف.نرسيسان : المرجع نفسه، ص ١٨٢.

[122] Antony Kenny:- Op.Cit, p.99,100.

وعلى ذلك؛ كان المذهب الرواقي في تصوره للإنسان أكرم من نظريات العصر الكلاسيكي ، فقد ذهب أرسطو إلى الاعتراف بأن اليوناني لا ينبغي أن يكون عبدا لأي واحد من مواطنيه، أما الرواقية فقد ذهبت ،بمعنى معين، إلى أن الناس جميعا متساوون، وكانت في ذلك تسير على هدى الممارسة لتي اتبعها الإسكندر[١٢٣]. وفي ضوء هذا الاتجاه الفكري، أدخلت الرواقية التمييز بين القانون الطبيعي وقانون الأمم، والمقصود بالحق الطبيعي هنا ما يكون من حق الإنسان بناءً على طبيعته البشرية وحدها ، وقد أعيد إحياء هذه النظرية في الفترة التالية لعصر النهضة الأوروبية ، وذلك في الصراع ضد فكرة حقوق الملوك الإلهية.[١٢٤]فقد كان مذهب "الحق الطبيعي" كما عرفته القرون السادس والسابع عشر والثامن عشر، إحياء لنظرية رواقية، وإن تكن قد طرأ عليها كثير من التعديل الهام، فالرواقيون هم الذين ميزوا بين الحق الطبيعي والحق الوضعي، وذهبوا إلى أن الناس جميعا سواء بحكم الطبيعة.[١٢٥]

فقد حاول الرواقيون القضاء على تلك العصبية –التي روج لها أفلاطون وأرسطو بإخضاعهما الفرد للدولة ,وإنكارهما حق الإنسان في الحرية الشخصية ، وكذلك القضاء على روابط العطف والصداقة بين المواطنين- وخطى الرواقيون في هذه السبيل خطوات جديدة ، فأحلوا "الإنسان" محل "المواطن" ، ومالوا إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة ، أعضاؤها أفراد البشر عامة أيا كانت نحلهم وألسنتهم وبلادهم.[١٢٦] وهذا إنما يعد نتيجة ضرورية ، بالنسبة لزينون مؤسس المدرسة الرواقية، فقد كان فينيقيا ، وبالتالي فإن أحد والديه كان على الأقل ساميا، ومن بعده كان رؤساء المدرسة عادة من الأرجاء القاصية من العالم اليوناني، وبخاصة من آسيا الصغرى، هذا فضلا عن اختلاط اليونان بالشرقيين في هذه الحقب التاريخية.[١٢٧]

ومن ثم ؛ فإن العبودية كظاهرة اجتماعية أو مؤسسة اجتماعية- سياسية لم يكن لها أي تبرير لأنها تجري ضد اللوغوس وتناقض مفهوم المدينة العالمية، إلا

---

[١٢٣] : إن أهم ما حاول تحقيقه الإسكندر في دولته الناشئة هو فكرة العالمية الشاملة والمزج بين شعوب الإمبراطورية ،قال "رينيه غروسه" : " إن الإسكندر كان أول رجل دولة فكر تفكيرا عالميا"، وقد كان في ذلك مخالفا بشدة لتعاليم استاذه أرسطو الذي ظل متقوقعا في أطر المدينة- الدولة الضيقة، .ومخالفا أيضا لكل ما اطلع عليه لدى أعلام الأدب اليوناني ، وما تلقنه كمسلمات ، من أن اليوناني متفوق بالطبيعة ، وأن غير اليوناني هو بربري بالفطرة ، وقد أعدته الطبيعة ليكون مسودا.(انظر: متوديوس زهيراتي: الإسكندر الكبير (فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق) ، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٩م، ص ٧٩).

[١٢٤] - برتراند راسل: حكمة الغرب ، ص ١٧٤.

[١٢٥] برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول الفلسفة القديمة) ، ترجمة زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢م، ص ٤١٤.

[١٢٦] - عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ٢١٤.

[١٢٧] - جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ص ٢٨.

أن النموذج الرواقي للتمييز بين الحرية والعبودية، قد عولج في الميدان الأخلاقي والروحي أكثر مما عولج في الميدان الاجتماعي – السياسي والحقوقي، فالرجل الحكيم (الفاضل) في رأي الرواقيين هو رجل حر حتى لو كان مقيدا، بينما الشرير عبدا دائما مهما كان، والرجال الأحرار الحقيقيون هم فقط الحكماء والملوك، يعرفون ما هو الخير وما هو الشر في الأمور الإنسانية والإلهية، ومن هنا جاء تقدير الرواقية للحكومة الملكية.[١٢٨] ،إلا أن ديوجين اللائرتي يذكر أنهم يرون أن أفضل أشكال الحكم ، هو ذلك النوع الذي يكون مزيجا من الديمقراطية، والملكية، والأرستقراطية.[١٢٩]

في حين يذهب جورج سباين في كتابه تطور الفكر السياسي، إلى أن محو الرواقية التمييز بين اليونانيين والبرابرة كان كسبا إنسانيا، غير أن الاستعاضة عنه بتقسيم مماثل له في العمق ، هو تقسيم الناس إلى عقلاء وحمقى ، لم يؤد إلى تحسين الأمور بدرجة كبيرة،[١٣٠] إلا أن هذا الرأي-كما ترى الباحثة- لا يحمل كثيرا من الصواب، حيث أن التمييز الذي أقامه كل من أفلاطون وأرسطو كان تمييزا على أساس الأصل والعرق (التعصب العرقي)، وتمييز اليوناني على البربري باعتباره من عنصر أكثر تمييزا عن غيره من البرابرة ، أما الرواقية فإنها تقيم هذا التمييز على أساس من امتلاك العقلاء - أيا كان عرقهم - للحكمة والمعرفة والقدرة على التمييز بين الخير والشر، دون الحمقى الذين لا يمتلكون هذه القدرة.

ترى الرواقية أن الإنسان الحكيم يعرف بحكم عقلانيته يعرف نفسه باعتباره جزء من الكون ، وبالتالي فهو مرتبط بجميع الكائنات في الطبيعة ، فهم متشابهون في النوع، ولهم حقوق متساوية ، ويخضعون لنفس قانون الطبيعة والعقل ، لذلك فإن الغريزة المجتمعية مغروسة في الطبيعة البشرية ،الأمر الذي يتطلب صفتان هما العدل وحب الفرد لرفاقه (الصداقة)، التي هي من الشروط الأساسية للمجتمع ، كل الأفراد مترابطون ، لديهم نفس الأصل ،والمصير ، جميعهم يخضعون لنفس القانون، وهم مواطنون في دولة واحدة وأعضاء في هيئة واحدة.[١٣١]

وعلى ذلك ؛ أخذت الفلسفة الرواقية على عاتقها - في جرأة شديدة - تفسير المثل العليا السياسية بحيث تناسب الدولة العظمى ، فقد رسمت الخطوط العريضة لفكرة إخوة إنسانية عالمية متحدة في ظل عدل يتسع ليشملهم جميعا ، ثم إنها قدمت إلينا النظرة التي تقول : إن الناس متساوون بالطبيعة رغم اختلافهم في الجنس والمرتبة والثروة.[١٣٢]والرجل الفاضل الحكيم الذي يسير حياته كلها وفقا

---

[١٢٨] - ف. نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨٣.

[١٢٩] - ديوجين اللائرتي: المصدر نفسه، ف ١٣١، ص ٢٠٦.

[١٣٠] - جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٢٩.

[131] E. Zeller; Op.cit ; p. 243.

[١٣٢] - جورج سباين: تطور الفكر السياسي، ص ٤٢.

للعقل الصريح ، إنما يحيا وفق الطبيعة العامة، وهو مواطن حقيقي من مواطن العالم ، وهو يقبل طوعا كل ما يأتي به القدر من أحداث، حتى المصائب و النكبات معتقدا أنها داخلة في النظام الكوني و القدر الإلهي ،والرجل الخبيث على العكس من ذلك تجده على خلاف مع نفسه ، أجنبي في المدينة العظمى .[١٣٣]

وعلى ذلك يصف زينون الحكماء أو الفاضلين وحدهم فقط بأنهم المواطنون ، فهم أصدقاء ، وأقارب وأحرار، ويصف كل من ليسوا فاضلين بأنهم أعداء وعبيد و غرباء عن بعضهم بعض .[١٣٤] وبالتالي لا يتمتع جميع سكان المدينة بنفس المكانة ، وانما البعض يكونون مواطنون كاملون والبعض الآخر ليسوا كذلك [١٣٥].

ومما سبق يتضح أن الرواقيين لم يريدوا بهذه الإمبراطورية الواسعة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي، بل أرادوها جامعة روحية تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والإرادة ، تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية، تقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون.[١٣٦]فيجب علينا كأشخاص أن ندين لأعدائنا بالرحمة والمحبة ، وهي وجهة نظر تم التعبير عنها مرارا وتكرارا من قبل رواقي الإمبراطورية الرومانية، فكانت هذه الكوزموبوليتانية واحدة من أكثر السمات إثارة للإعجاب التي جعلت الرواقية الممثل الحقيقي للفترات الهلنستية والرومانية ، وأعطتها أهميتها في صعود المسيحية وانتشارها.[١٣٧]وجعلتها توحي إلى جان جاك روسو وفلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم عن إخاء بني الإنسان وحقوقهم في الحرية والمساواة.[١٣٨]

تلك هي "الجامعة الإنسانية" التي نادى بها أصحاب الرواق في العصر القديم ، والتي تذهب إلى القول بوجود رابطة أخلاقية وثقى بين الآلهة وبين بني الإنسان، ذلك أن أهل الرواق كانوا يعتقدون أن روح الإنسان لا تختلف في جوهرها عن "عقل الكون"، وأن الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا أجزاء من هذا العقل الكوني ، ولما كان الإنسان مخلوقا أعدته الطبيعة للاجتماع والعمران، فقد وجب على الناس أن يكونوا إخوانا في "مملكة العقل" ، وهي مملكة تشمل أفراد

---

[١٣٣] - حسن حمود الطائي :الرواقية وفكرة الجامعة الإنسانية، مجلة الفتح، كلية الآداب جامعة المستنصرية، العدد التاسع والعشرون،٢٠٠٧.

[134] Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy, Oxford university press , New york, 1992, p. 167..

[135] Katja Maria Voget; Op. cit, p.76.

[١٣٦] - عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ٢١٦.

[137] E. Zeller; Op.cit ; p.244.

[١٣٨] محمد حسن مهدي: الفلسفة الإغريقية ومدارسها من طاليس إلى ابروقلس، ص ٣٣٩.

الإنسانية جميعا ، باعتبار أنهم أوتوا نصيبا واحدا من العقل وأنهم مهيؤون للفضيلة.[١٣٩]

الواقع أنه يمكننا فهم المدينة الكونية عند الرواقيين من خلال مقارنتها بالمدينة المثالية، فمدينة أفلاطون ، بمجرد أن تنشأ ، ستبدأ حتما في التدهور، كما أنها مجرد بناء نظري ناتج عن مناقشة فلسفية، أما الرواقيين فهم على العكس من أفلاطون يصفون مدينة موجودة بالفعل ، ولتن تتدهور لأنها لا يمكن أن تنشأ من خلال مجهود بشري، وعلى ذلك فالكون هو الوطن العام المشترك لجميع سكانه وينظمه القانون.[١٤٠] ومن ثم؛ لم يناقش الرواقيون مدينة مثالية كما فعل أفلاطون، بل تحدث الرواقيون عن مدينة حقيقية وهي الكون ، فالكون هو مدينة بقدر تنظيمه بموجب القانون، ويتم الحفاظ على أجزائه ، وبهذا فهي مدينة الحكماء والآلهة ، والمسكن الذي يعيش فيه جميع البشر، وله خصائص البنية الهيكلية للمدينة، فهناك حكام ومحكومين وآلهة وكائنات بشرية.[١٤١] وعلى ذلك فإن أهم ما يميز الرواقية هو ثباتها على الأخلاق ، وجديتها ، وخضوعها المخلص للإرادة الإلهية.[١٤٢]

من هذا المنطلق، فإن القانون الطبيعي والدولة العالمية عند الرواقية، تسود بشموليتها على سلطة الفرد ، وعلى الأخص الحكومات والقوانين والعادات والمنافع المدنية.[١٤٣] ومن ثم رفض زينون النظام التعليمي التقليدي ، واعتقد أن مضيعة للجهد ، وكذلك بناء المعابد والمحاكم القانونية، وأوصى بجمع الزوجات، ويجب أن يكون هناك نظام قانوني واحد للبشرية جمعاء يسوسهم كقطيع الأغنام .[١٤٤] حيث أن مدينة الحكماء – في رأي زينون – لم تكن بحاجة إلى العمارة المدنية التقليدية ولا المؤسسات الدينية والقانونية والتعليمية والعسكرية ، تلك التي افترضها أفلاطون في الجمهورية والقوانين، ويرى زينون في جمهوريته أنه كما لا يجب أن نبني المعابد للآلهة، بل يجب أن نمتلك الألوهية في عقولنا، فكذلك مدينة الحكماء ، هي مدينة دون جريمة أو تقاض إلى محاكم قانونية.[١٤٥] وهنا يتضح أن الرواقية قد أحلت الأخلاق والفضيلة محل الدولة والقانون، فطالما تميز

---

[١٣٩] عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ٢١٥.

[140] Katja Maria Voge: Op ..Cit, ;p. 67.

[141] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the early Stoa;p.65..

[142] E.H. Blakeney ,M.A; The Hymen of Cleanthes (Greek text translated into English); The Macmillan Company ; 1921, p.4.

[١٤٣] ف..نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨٣.

[144] -Antony Kenny :-Ancient philosophy , Clarendon, Oxford , U.S.A, 2004, p.98.

[145] -Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy ,,p. 179, 180.

الأشخاص بالحكمة والفضيلة التي هي اتباع الطبيعة أو العقل الإلهي فلا حاجة للتشريعات أو القوانين الوضعية. لذلك من المعتقدات التي تلقى قبولا لدى الرواقيين محتذيين طريقة أفلاطون، هي أن الزوجات ينبغي أن تكون مشاعا بين الحكماء، بحرية تامة دون أدنى قيد، على نحو ما يخبرنا زينون في كتابه "الدولة" ، وكذا على نحو ما يذكر لنا كريسيبوس في كتابه "عن الدولة"، وقد اعتنق كل من ديوجيني الكلبي وأفلاطون هذا الرأي نفسه. وهم يعتقدون أنه على هذا النحو سوف يتسنى لنا أن نشعر بالحب الأبوي تجاه جميع الأطفال والأبناء سواء بسواء.[١٤٦]

إن مدينة الحكم هي "العالم "Cosmos ، فالناس جميعا متساوون وأنداد في عالم يجعله العقل متجانسا ، ولا يشطره أي حاجز قومي أو سياسي ، فالرواقية تقوم في هذا المضمار كما في مجالات أخرى ،بدور سلبي في وضع المثل الأعلى السياسي ،حيث لا تعترف بأية جماعة نوعية خاصة ، ولا يكون هناك أي واجب سياسي، إلا الواجب الوحيد الضروري وهو طاعة قوانين العالم ، وعلى ذلك أضحت السياسة مندمجة بالميتافيزيقا ، بلا رابط محدد بموطن أو نظام أو عرف أو جماعة.[١٤٧] ومن ثم حدد الرواقيون المدينة كنظام انثروبون Anthropon ، رابطة من البشر ، فكل الناس سيتبعون نفس القوانين والأعراف ، ولن يكون لديهم أي ارتباطات أو ولاءات محلية ، بالضرورة لن يكون هناك شكل من أشكال التنظيم على الإطلاق ، فالحكومة لن تكون إلزامية في جمهورية "زينون" ، لذلك استغنى الرواقيون عن حكم الحراس لأفلاطون في الجمهورية، وأكد زينون على أن تأكيد أفلاطون –إلى حد كبير- على الغرض العسكري، لا يمكن أن ينتج عنه حكم الحكيم، وبالتالي لا توجد العدالة إلا في الشخص الرواقي الحكيم، والمدينة العادلة فقط هي تلك يسكنها الحكماء.[١٤٨]

فالناس جميعا ابناء الله، وهم بذلك أخوة بعضهم لبعض ، فالإيمان بالله في نظر الرواقيين هو إيمان بقيمة الأهداف الاجتماعية ، وبمسئولية الرجل الصالح في حمل نصيبه منها ، ومن هنا نشأت دولة عالمية ،الآلهة فيها والرجال مواطنون، ولها دستور هو العقل المنزه عن الخطأ، يهدي الناس إلى ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يتجنبوه، فالعقل المنزه عن الخطأ هو القانون الطبيعي ، وهو المقياس في كل مكان لما هو حق وعدل ،لا تتغير مبادئه ، وهو ملزم لكل الناس حكاما ومحكومين على السواء، وهو قانون الله، وقد عبر كريسيبوس عن ذلك في كتابه "عن القانون".[١٤٩]

---

[١٤٦] - ديوجين اللائرتي: المصدر نفسه، ف ١٣١، ص ٢٠٦.

[١٤٧] - جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية (من اليونان إلى العصر الوسيط)، ترجمة: ناجي الدراوشة، دار التكوين للترجمة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٢٠م، ص ٨٢،٨٣.

[148] -Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy, ,p. 181.

[١٤٩] - جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٣٣.

ومن ثم ؛ فإنه قد ترتب على القول بمبدأ الحياة وفقا للطبيعة أي وفقا للعقل عند الرواقيين ، وأنه هو القانون الذي يسري الكون الطبيعي والحياة الإنسانية على السواء، مما يقضي بترابط الموجودات مع بعضها البعض ترابطا ضروريا، قد ترتب على كل ذلك قولهم بوحدة الوجود ووحدة الجنس البشري، والأخوة الإنسانية أو العالمية ، حيث يكون كل الناس متمتعين بحقوق متساوية وعليهم مسئوليات متساوي، وهي الفكرة التي استوعبتها المسيحية بعد ذلك في تصورها عن "مدينة الله" ، كما كانت هي الفكرة التي جعلها "كانت" في العصر الحديث حجر الزاوية لنسقه الأخلاقي.[١٥٠]

وعلى ذلك ، فإن أفضل دستور تم تصويره في جمهورية زينون ، لم يكن محصورا في مدينة واحدة، وكان المجتمع المثالي الذي ناقشه الرواقيون، هو " كونا عالميا شاملا" ، ولم يهتموا بنطاقه الجغرافي الدقيق، وأكدوا على عدم وجود حدود قانونية، فضلا عن عدم تمييزهم بين الإغريقي والبربري ، بل اقتصر الرواقيون – عمليا – على وصف مدينة واحدة.[١٥١]

رابعًا: صدى نظرية العدل والقانون الطبيعي الرواقي في التشريع الروماني

كان قانون روما في البداية ، كسائر الأنظمة السياسية القديمة ، قانونا موضوعا لمدينة أو لطائفة محدودة جدا من المواطنين ولدوا في ظله كجزء من تراثهم المدني، [١٥٢]وكانت القوانين الرومانية الأولى خليطا من الأوامر الدينية ، والعادات المرعية والتقاليد الأهلية، وظلت على حالها هذه حتى دونت عام ٤٥٠ق.م في الألواح الاثني عشر، وبعد تدوينها أصبح الخروج على القانون جرما في حق الدولة ، لا في حق الآلهة كما كان قديما، وأصبح القانون معبرا عن إرادة الدولة ، وليس عن إرادة الآلهة، وتم النظر إلى القانون على أنه بشري في أصله، وليس روحانيا.[١٥٣]

لكن مع نمو ثروة الرومان ونفوذهم السياسي ، تكونت طائفة متزايدة من الأجانب المقيمين في روما ، فأصبحت الضرورة ماسة لفرض رقابة قانونية على تصرفاتهم بطريقة أو بأخرى[١٥٤]،مما ترتب عليه ضرورة وجود تشريع جديد يطابق عادات الأجانب وعاداتهم المختلفة، فأصبح القانون شاملا جامعا، يعتمد على الطبيعة البشرية ، يطابق عادات الناس على اختلاف مشاربهم وجنسياتهم في

---

[١٥٠] محمد مهران رشوان : تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، ص ١٠٧،١٠٨.

[151] -Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy ,p.175.,

[١٥٢] جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ص ٤٠،٤١.

[١٥٣] حسن خليفة: تاريخ النظريات السياسية وتطورها، المكتبة الحديثة، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ٤١.

[١٥٤] جورج سياين: المرجع نفسه ، ص ٤١.

كل زمان ومكان، فاتجه علماء القانون في روما ، إلى مبدأ الرواقيين في القانون الطبيعي و فكرة الإخاء العام.[١٥٥]وأخذ القانون الرسمي يتفتت، بسبب اعتبارات العدالة ونزاهة المعاملة وازدياد الإدراك العام، ونتج عن هذا أن تكون ونما قانون نافذ ، خال من الإجراءات الشكلية ، وقد أطلق المحامون عليه اسم "القانون المشترك" بين كل الشعوب ، وكان له أثر في تقدم القانون الروماني ، وفي الواقع نظرا لكونه أكثر عدالة ومعقولية ، وأكثر ملاءمة للزمن من القانون المتزمت القديم، فقد ساعد ، مع عوامل أخرى ، على إلقاء الضوء على القانون الروماني بأكمله.[١٥٦]

كان للرواقية تأثير كبير على السياسة والفكر الأخلاقي في الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد والقرنين الأول والثاني بعد الميلاد،[١٥٧]إذ كانت الرواقية هي الاتجاه الفلسفي الأكثر نفوذا في الفترات الأخيرة للجمهورية الرومانية ، وبوجه خاص في العصر الإمبراطوري.[١٥٨] فقد عرفت المدرسة الرواقية عصرا ثانيا هو "الرواقية المتوسطة" في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ، أهم رجاله آسيويون من "طرطوس" و "سقلوية" و "صيدا" ، خالف بعضهم الزعماء الأولين ، ولكن في مسائل ثانوية فقط، [١٥٩]إذ كان أهم ما يميزهم هو التركيز على تلمس مواضع الاتفاق بين مذاهب أعلام الرواقية القديمة وبين آراء كل من أفلاطون وأرسطو،[١٦٠] فقد أبدى فلاسفة الرواق في هذا العصر ميلا واضحا إلى المذهب الانتقائي ، فأدخلوا عناصر أفلاطونية وأرسطية، وتخلو عن الرواقية المحافظة، وقد كانت من الأسماء اللامعة في الرواقية الوسطى "بنياتوس الرودسي(١٥٨-١١٠ق.م) و"بوزيدنيوس" (١٣٥-٥١ ق.م)[١٦١]

وما هو جدير بالذكر، أن معظم الموضوعات التي أثارها أعلام الرواقية المتوسطة في روما، والتي أعادوا فيها إحياء المذهب الرواقي اليوناني، كانت مرتبطة بمجال المعرفة والطبيعة ،وقليلا ما نجدها مرتبطة بالسياسة أو الأخلاق ولاسيما موضوع هذه الدراسة وهو القانون والعدالة، لذلك ليس من الجدير بالأهمية هنا عرض أفكارهم بالتفصيل ، وإن كان من الضروري عرض مذهب

---

[١٥٥] حسن خليفة : المرجع نفسه، ص ٤٢.

[١٥٦] جورج سباين: المرجع نفسه ، ص ٤١.

[157] R.W. Sharples; Stoics ;Epicureans ;Sceptics :An introduction to Hellenistic philosophy; p. 8.

[158] A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy; p.25.

[١٥٩] يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٥٤.

[١٦٠] مصطفى النشار : الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص٢١٧.

[١٦١] كوبلستون : تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص ٥٥٩. ولمعرفة المزيد عن الرواقية الوسطى وأعلامها وأهم أفكارها : أنظر كتاب كوبلستون من ص ٥٥٩ إلى ٥٦٦، وكتاب ففلسفة الرواق لجلال الدين سعيد، ص ٥.

الرواقية المتأخرة وتأثر القانون الروماني في تلك المرحلة بفكرة القانون والعدالة الطبيعية عند الرواقيين الأوائل.

ازدهرت الرواقية المتأخرة(الرواقية الرومانية) في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، ويمثلها أسماء : "سينيكا " و "إبكتيتوس" العبد، و الإمبراطور "مرقس أوريليوس" .[١٦٢] وهم الرواقيون الوحيدون الذين وصلت إلينا كتبهم كاملة[١٦٣]

فإذا لم يكن للرومان فلسفتهم الذاتية الخالصة، ولم يستطيعوا ان يتوصلوا لدرجة عالية من التجريد النظري أو في الأفكار الفلسفية المحضة كما فعل فلاسفة الإغريق، إلا أنهم كانوا على صلة بالثقافة الإغريقية ،ولكن تلك الصلة لم تتوثق إلا منذ القرن الثاني بعد الميلاد، وبصفة خاصة بعد أن أخضعت روما بلاد الإغريق لحكمها نهائيا في عام ١٤٦ق.م [١٦٤]، فقد أدى غزو بلاد اليونان والبعثات العسكرية التي قام بها بومبي Pompy وقيصر Caesar وأنطوني Anton واغسطس Augustus ، إلى توسيع أذهان الرومان وتدفق التعليم اليوناني إلى روما ، وظهور ممثلين للفلسفة اليونانية في روما.[١٦٥]

وبما أن الرومان لم يكن لديهم الوقت والفراغ أو حتى المقدرة على التفكير والتأمل، اتجهوا إلى الآراء الفلسفية الهيللينية الجاهزة - حيث أن المدارس الإغريقية في هلينيا كانت تتقاسم الميدان الفلسفي- وبخاصة الأساليب الرواقية ، وهكذا فقد كانت الفلسفة السائدة في روما تقريبا فلسفة زينون الرواقية ،سواء أكانت هذه الفلسفة في ماركوس اورليوس الإمبراطور، أو إبكتيتوس العبد. [١٦٦] ولا نزاع في أن نصوص القانون الروماني التي تدل على عبقرية انسانية باهرة، والتي شبهها بعض الكتاب بالوحي المنزل،، هي من صنع كبار المشرعين الرومان في القرن الثاني بعد الميلاد، وقد كانوا جميعا متأثرين بالفلسفة الرواقية.[١٦٧]

إذ كان للرواقيين الفضل الأسبق في أن المشرعين الرومان اقتبسوا مبادئ القانون الطبيعي ، ومبادئ العدالة العامة، كما اقتبس المسيحيون فكرة الإخاء العالمي من المدرسة الرواقية ، والتي تعاقبتها العصور الحديثة،[١٦٨] وبصفة عامة

---

[162] A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy ; p. 281.

[١٦٣] - يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٥٤.

[١٦٤] سيد أحمد صقر: فلسفة العدالة عند الإغريق وأثرها على فقهاء الرومان وفلاسفة الإسلام ،ص ٩٧.

[165] W. Turner; History of Philosophy; p.190.

[١٦٦] ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ص ١٢٩.

[١٦٧] عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ٢٢٦،٢٢٦.

[١٦٨] فضل الله محمد اسماعيل، ومحمد عتمان: نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، مرجع سابق، ص ٢٤.

فقد اتجه فقهاء الرومان إلى الفلسفة الإغريقية ينهلون من ينابيعها ويستمدون منها أساسا لنظرياتهم القانونية.[١٦٩]

فقد كانت قواعد التشريع الروماني الثلاثة: الحياة وفقا للطبيعة ووفقا للعقل ، عدم الإضرار بالغير، وإعطاء كل ذي حق حقه، إنما هي مبادئ منبثقة من فلسفة الرواقيين.[١٧٠]

ومن ثم ، فإن الفلسفة الرواقية في العالم الروماني كانت معينا للحياة الأخلاقية لا ينضب :بثت مبادئها السمحة في القانون الروماني –وكان في أصله تشريعا ضيقا لا يرحم- فجعلت منه ذلك القانون الطبيعي والقانون الفلسفي كما يتصوره العقل قانونا للإنسانية، وكما يمكن أن تتخذه جميع الشعوب المتمدنة.[١٧١]

وحسبنا دليلا على ذلك أن نرى من مشرعي الرومان من استمدوا الهامهم من الرواقية: على سبيل المثال نرى "مرقيون" المشرع الروماني يصطنع تعريف "كريسيبوس" (وهو من تلاميذ زينون الرواقي) للقانون، وتلك مجموعة القوانين التي عليها اسم " القواعد Institutes" والتي تم تصنيفها بأمر الإمبراطور "جستنيان" سنة ٥٣٣بعد الميلاد، نراها قد فصلت مبادئ القانون الطبيعي ، وقانون الشعوب مسترشدة بمبادئ الرواقيين ، ثم إن "اولبيانوس" _ وهو من مشرعي القرن الثاني- يطلق على التشريع نفس التعريفات التي كان الرواقيون يطلقونها على الفلسفة، فيقول هو " علم الأشياء الإلهية ومعرفة ما هو عدل وما هو جور".[١٧٢]

كانت الخاصية الأساسية للرواقية في الإمبراطورية الرومانية المبكرة هي تمسكها بالمبادئ الأخلاقية والعملية للمدرسة، التي اصطبغت بصبغة دينية، وارتبطت بنظرية تشبه الإنسان بالله، وواجبه نحو حب أقرانه من البشر.[١٧٣] فقد نشرت الفلسفة الرواقية قبيل القرن الأول مبادئ العالمية والعدالة الطبيعية وصفة المواطن العالمية ، غير أن هذه التعبيرات كانت تحمل معنى خلقيا أكثر من قانونيا .[١٧٤]

وقد كان من خصائصها أيضا الاهتمام بالقانون الإنساني الشامل ' فقد أدرك الرواقيون في العصر الروماني ما بين الفلسفة والحقوق سواء الخاصة أو العامة من اتحاد عميق، وشاركوا بهذه الآراء في صياغة أكثر متانة وقوة في القانون الروماني الذي كان جوهر الحضارة الرومانية وأساس مدينتها،[١٧٥]

---

[١٦٩] سيد أحمد صقر: المرجع نفسه، ص ٩٧.
[١٧٠] مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي ، ص ٢٣٧.
[١٧١] عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ٢٢٢.
[١٧٢] عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ٢٢٣.
[١٧٣] كوبلستون : تاريخ الفلسفة ، ص ٥٦٧.
[١٧٤] جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٤٧.
[١٧٥] مصطفى النشار : تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٣٧.

لم يكن الرومان شغوفين بالعلوم النظرية، بل كانت عقليتهم تميل إلى النظام والحكومة والقانون، ولذلك رأينا فلسفة الرواق حين دخلت بلاد الرومان قد تجردت من أحراشها-كما قال شيشرون- وتأثرت في ذلك بالطبع الروماني وبملابسات الحياة في روما.[١٧٦]

ومن ثم؛ لم تكن السياسة الرومانية نظرية بالمعنى اليوناني، ولم يكن لدى الرومان اهتمام بحديث نظري عن العلاقة بين الأخلاق والحكم الصالح، كالإغريق الذين تميزوا بالبراعة في الحديث عنها، بل كانت لدى الرومان دليلهم الحي، فقد أدركوا أن الرجال الطيبين الصالحين يسنون قوانين صالحة وجيدة ، بطريقة سابقة على وضع "نظرية حكومية" [١٧٧] فقد كانت قاعدة " العمل أولا وبعدها الفلسفة" هي المسلمة الأولى عندهم ، ولهذا ارتبطت الأفكار السياسية عند الرومان بالعمل.[١٧٨] فإذا كان الرواقيون قد وضعوا الأسس الفكرية للوحدة العالمية على مستوى فلسفي، فإن العالمية من بعدهم استمرت في شكل قانوني واداري في ظل الإمبراطورية .فقد تميز الرومانيون بالتجربة الواقعية والعملية ، ولم يتميزوا بالفكر السياسي على عكس اليونانيين[١٧٩]

فحين دخلت الرواقية روما اصطبغت بالصبغة العملية ، فنبذت التعقيدات المنطقية ، وتخلصت من كثير من تفصيلات علم الطبيعة ، وركزت جل اهتمامها على الجانب الأخلاقي من المذهب. كان سينكا ، على سبيل المثال، يزدري علم المنطق ويتنكب الطبيعيات، وكان ابكتيتوس يمر على الطبيعيات في أحاديثه مر الكرام، أما ماركوس أوريليوس فلا يعرض لها أصلا .[١٨٠]

لم يوجد – إذن- من بين كتاب الرومان من أوجد نظاما في الفلسفة السياسية في الإمبراطورية الرومانية كما فعل أرسطو طاليس في بلاد الإغريق ، وكل الذي عمله الكتاب أن طبقوا بعض مبادئ النظرية الإغريقية على طرائق الحكم والتشريع في الإمبراطورية ،وعلى وجه الخصوص مبادئ الرواقية ، إلا أنه من أهم الأفكار التي نادى بها الرومانيون ، هي عدم دمجهم الفرد في الدولة كما فعل أفلاطون ، وأنهم لم يعترفوا بعدم ضرورة الدولة كما فعل أبيقور واتباعه، بل فصلوا بين الفرد والدولة، وقالوا أن الدولة ضرورية وطبيعية للوجود الاجتماعي.[١٨١]

---

[١٧٦] عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ٢١٩.

[177] Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the early Stoa ,p. 80.;

[١٧٨] جان توشار وآخرون: المرجع نفسه، ص ٥٥.

[١٧٩] حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، ص ١٤٠، ص١٤٢..

[١٨٠] ماركوس اوريليوس ،: التأملات، ص ٢٩٢.

[١٨١] حسن خليفة: تاريخ النظريات السياسية وتطورها، المكتبة الحديثة، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ٣٩، ٤٠.

يتبين مما سبق أن الفلسفة الرواقية في العصر الروماني كانت أقل مثالية منها في طورها الإغريقي في المرحلة المبكرة على يد زينون واتباعه، بل كانت فلسفة عملية واقعية تميزت بنزعة أخلاقية دينية.

إن صورة الحكيم الرواقي عند **سينكا** [١٨٢]، هي ذاتها تقريبا عند كل الرواقيين، فهو الذي يؤمن بالعيش وفقا للطبيعة، ويزهد في الثروة رغم امتلاكه لها ، وهو الذي يؤمن بأن الخير في السمو الأخلاقي ، وأن القيمة الحقيقية في الحياة القصيرة هي الإنجاز والعمل الجاد.[١٨٣]وقد تمركزت فلسفته بشكل أساسي حول الأخلاق،[١٨٤]وهذا ما نتوقعه من فيلسوف روماني ، واهتم داخل دائرة الأخلاق بممارسة الفضيلة أكثر من البحث النظري في طبيعتها.[١٨٥]

يعد مفهوم " الحرية الروحية" أمرا أساسيا في فلسفة سينكا الأخلاقية ، ففي مواجهة الضرورة الحاسمة أو القدر الذي يحكم العالم، لا يمكن أن تكون هذه الحرية سوى الاعتراف بها والخضوع لها.، فالضرورة هنا لا ينبغي فهمها على أنها ضرورة عمياء أو قانون غير عقلاني ، بل هي عقلانية ومفيدة وكلية وعالمية متأصلة في كل مكان وفي كل إنسان. وهكذا تفترض حرية سينيكا الضرورة ، كتعبير عن العقل ، وإلا فإنها تتحول إلى عبودية صريحة.[١٨٦]

ويعود إلى سينكا أعظم عرض متماسك قوي لفكرة الرواقيين عن الحرية الروحية لجميع الناس بغض النظر عن موقعهم الاجتماعي، ويشارك سينكا أفكار أنداده اليونان في أن الله (الذي يمكن في رأيه أن يكون العقل الخالق أو القدر او العناية الإلهية أو الطبيعة أو العالم) هو السبب المطلق لأي شيء ، وهو السبب الأول الذي تعتمد عليه الأسباب الأخرى ، فحلقة الأحداث تقررها

---

[١٨٢] Seneca,Lucius Arnaeus (4 bce, -65ce) هو فيلسوف وسياسي وكاتب مسرحي ،وكان مستشارا لإمبراطورية نيرونNero ،حاول توفيق الفكر الأخلاقي والسياسي للفكر الرواقي مع ظروف الإمبراطورية الرومانية ، كانت مقالاته تطبيقا عمليا للمفاهيم الرواقية ، كما كان العديد من مقالاته هي "عزاء" لمارسيا Marcia إلى والدته، إلى بوليبيوس (انظر Antony Preus: Historhcal Dictionary of Ancient Greek Philosophy ;p. 235) ، وقد ولد في عائلة من الخطباء البارزين ، وقد بدأ كمحام ثم في دراسة الفلسفة والسياسة ، في عام ٤١ميلادية تم نفيه إلى كورسيكا Corsica وعاد إلى روما بعد ثمانِ سنوات، واصبح لمدة من الزمن الحاكم الفعلي للإمبراطورية، وفي عام ٥٧أصبح قنصلا وزادت ثروته الشخصية، ، وفي عام ٦٥ وُجهت إليه تهمة التآمر. على نيرون وحكم عليه بالإعدام انظر:

- A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy; p. 295.

[١٨٣] مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٤٥.

[184] A.S Bogomolov; Op.Cit; p. 296.

[١٨٥] كوبلستون: تاريخ الفلسفة ، ص ٥٦٧.

[186] A.S Bogomolov; Op.Cit;, p. 298

الدورة الأبدية للقدر، وباتباع القدر لمجراه المحدد فإنه يتحكم في جميع المصائر ، ويحكم الكون مؤكدا عدالته ، وعلى الإنسان-إذن- أن يخضع لإرادة القدر ويقبل التسليم بقوانين الطبيعة، ففي مفهوم سينكا عن الحق الطبيعي ، نجد أن قانون "القدر" يقوم بوظيفة القانون الطبيعي الذي يتحكم بكل المؤسسات البشرية ، والدولة والقانون حصرا.[١٨٧]

ويعلن سينكا المتمسك بالفكرة الرواقية عن الوحدة التي لا تنفصل بين العالمين الطبيعي والإنساني :" كل ما تراه، وذلك الذي يشمل الإله والإنسان ، هو واحد ، فنحن أجزاء جسد عظيم واحد، لقد انتجتنا الطبيعة وواحدنا مرتبط بالآخر ،مادامت قد خلقتنا من مصدر واحد، وإلى نهاية واحدة دفعتنا" ، فالكون في رأيه دولة طبيعية مع قانونها الطبيعي ، والإقرار بهما ينبع من الضرورة التي يفرضها العقل ، وأعضاء هذه الدولة طبقا لقانون الطبيعة هم كل الناس.[١٨٨]ومن ثم ، فإن المجتمع البشري كله واحد، ولا يمكن أن يكون الموطن الأم للروح البشرية، أفسوس أو الاسكندرية، لذلك حتى العبيد يجب أن يعاملوا كبشر. ويمثل الغاء سينيكا " الروحي " للعبودية ، اكتشاف أن كل فرد هو من ناحية عبد للقدر، ومن ناحية أخرى حر بعقله.[١٨٩]

يتضح مما سبق أن سينيكا قد أقام مفهوم حرية الإرادة و فكرة المدينة العالمية على أساس تفرقته بين طبيعة الجسد وطبيعة الروح ، فالبشر أخوة نتيجة اشتراكهم في عقل وروح واحدة، وكذلك يتميز الفرد بالحرية حينما يكون الجزء العاقل فيه سيدا على الجزء غير العقلاني، أي عندما يكون العقل سيدا على الجسد.

أما عن **"إبكتيتوس"** فقد ولد في هيرابوليس ، وارسل إلى روما ليكون عبدا لرجل من خلصاء نيرون هو ابافروديتوس ومن هنا جاء اسم إبكتيتوس والتي تعني باليونانية " العبد" ، لذلك تعلم الفلسفة وسط العبودية والبؤس وتعلم أن يتحرر أخلاقيا قبل أن يتحرر رسميا.[١٩٠] وقد انتهج منهج سلفه سينكا ، في التركيز على الفلسفة التطبيقية العملية ذات الطابع الأخلاقي الروماني في المقام الأول، فهو يعتبر أن الفلسفة العملية ، هي الفلسفة المنشودة وهي الفلسفة الحقة.[١٩١] كانت غاية حياته الانصراف إلى الفلسفة بقلبه وعقله وروحه ، ثم الانتهاض لتعليم الناس إياها ، فقد كانت حياته صورة صادقة لفلسفته، فقد كان

---

[١٨٧] ف.نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨٥،١٨٦.

[١٨٨] ف. نرسيسان: المرجع نفسه، ص ١٨٦.

[189] A.S Bogomolov; Op.Cit;, p. 299.

[١٩٠] عادل مصطفى: ضمن تعليقه على ترجمة " التأملات" لماركوس أوريليوس، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٢٩٧.

[١٩١] مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٥٣،٢٥٥.

إذن رواقيا في حياته كما كان رواقيا في فلسفته.[١٩٢]لذلك يؤكد إبكتيتوس كأسلافه من الرواقيين على ضرورة طاعة القوانين الإلهية والعيش وفقا للطبيعة والعقل .

إن الفكرة التي تسود فلسفة إبكتيتوس هي فكرة الحرية التي أغفلتها الفلسفة القديمة – وهذا أمر طبيعي بالنسبة لشخص ذاق مرارة العبودية- ويراها من أجل الخيرات وأوفر النعم التي نصيبها في هذه الدنيا، وحرية النفس عنده أن تعرف كيف تحكم نفسها وفق قانون تسنه لنفسها ، فإذا أراد الإنسان أن يعرف تلك الحرية وجب عليه ، وفقا للمبدأ السقراطي، أن يعرف نفسه.[١٩٣]

فعلى الرغم من إيمان إبكتيتوس مثل الرواقية القديمة ، بحتمية الطبيعة وضرورة الخضوع السلمي للقدر والإيمان بتصرفاته، إلا أنه نجح –إلى حد كبير- في إقناع نفسه وتلاميذه بأنه مع كل الضرورات التي ينبغي أن يخضع لها الإنسان إلا أنه مع ذلك يمكن أن يشعر بالحرية، ولعل مفهوم الحرية المقصود هنا هو الحرية الجوانية التي يمكن أن تتوافق مع أي ظروف خارجية مهما كانت قاسية.[١٩٤] "لقد جعل الله إرادتي تخضع لنفسي وحدى ، واعطاني القواعد الصحيحة لاستخدامها"[١٩٥] وعلى ذلك ، فإن إبكتيتوس قد حاول أن يزيل الفجوة بين احساس الفرد بحريته وبين ضرورة طاعته لإله التي هي خضوعه للقانون الطبيعي من جهة والقانون الأخلاقي (الواجب) من جهة أخرى.

ويرى إبكتيتوس أن أصح ما يستعمل الإنسان فيه حريته ، هو أن يتخذ في حياته أحكاما موافقة لطبيعة الأشياء. ومن شأن هذه الأحكام أن ترشد الإنسان إلى أن حدوث الأشياء أمر ضروري ، وأن تجعله يذعن لحدوثها ويقبلها كما هي، دون أن يطمع الإنسان في تغييرها إلى ما يلائم رغباته، يصرح إبكتيتوس على ذلك بحرية الإنسان واختياره من جهة ، واستسلامه لقانون العناية الإلهية استسلام اذعان ومحبة من جهة أخرى .[١٩٦]

وعلى ذلك، يشارك "إبكتيتوس" اطروحة رواقية قديمة حول الطبيعة العقلانية للعالم، فالكون هو الله ، ويبدو أن هذا يترك وظيفة واحدة للفلسفة ، وهي حث الإنسان على تبني الموقف الأخلاقي الصحيح تجاه العالم ، أي الخضوع لإرادة الآلهة ، ذلك أنه ليس بمقدور الإنسان يُغير مجرى الأحداث ،

---

[١٩٢] عثمان أمين : المرجع نفسه، ص ٢٤١-٢٤٤.

[١٩٣] المرجع السابق، ص ٢٤٥.

[١٩٤] مصطفى النشار: المرجع نفسه، ص ٢٥٨.

[195] Epictetus ; THE GOLDEN SAYINGS OF EPICTETUS (IV); trans; HASTINGS CROSSLEY; Global Grey Books; 2918;p.2.

[١٩٦] عثمان أمين: المرجع نفسه، ص ٢٤٨،٢٤٧.

وهنا تظهر الفكرة الرواقية القديمة " بعض الأشياء تحت سيطرتنا ، والبعض الآخر ليست تحت سيطرتنا".[١٩٧]

ولعل ما جعل إبكتيتوس يؤكد على فكرة الحرية الإنسانية هو أن يكون الإنسان مسؤول عن أفعاله ويتحمل نتائجها إذ يقول" إذا اخترت ، فأنت حر، إذا اخترت ، فأنت لست بحاجة إلى إلقاء اللوم على أحد" [١٩٨] وعلى ذلك ربط إبكتيتوس بين حرية الفرد ومسؤوليته عن أفعاله ، إلا أنه في نفس الوقت قد جعل لهذه الحرية حدودا لا يجب على الفرد أن يحيد عنها حتى يتسنى له العيش في سعادة ، وبالتالي القبول والرضا عن اقتناع بالقدر أو بما يحدث من حوله في مجرى الطبيعة إذ يقول " وكل الأشياء ستحدث ، وفقا لعقلك ، ووفقا للعقل الإلهي"[١٩٩] فهو يرى أن الله هو الذي منحنا الاختيار الحر من أجل سعادتنا .[٢٠٠]

ويمكن تلخيص رأي إبكتيتوس عن الحرية في القول بأنها تعني عنده تكون إرادة الإنسان منسجمة ومتفقة مع إرادة الإله ، ولكن بشرط أن يكون ذلك الاتفاق نابع عن رضا وقبول من قبل الفرد بصلاحية تلك الإرادة "إذا كانت هذه إرادة الله ، فلتكن" ويقول أيضا " من القواعد الصحيحة: أن تتمنى أن يحدث كل شيء كما يحدث" ويقول أيضا " من القواعد الصحيحة: أن تتمنى أن يحدث كل شيء كما يحدث"[٢٠١]

فهو يقول " من أدرك إدارة العالم فقد تعلم أن هذا المجتمع ، الذي يتكون من الإله والناس، هو قبل كل شيء وأقوى وأشمل" ويقول أيضا " إذا كان ما يقوله الفلاسفة عن العلاقة بين الإله والإنسان حقيقية ، ما الذي يبقى على البشر فعله إلا كما فعل سقراط :- لا يجب أبدا عندا يسأل شخص عن بلده أن يجيب " أنا أثيني أنا كورنثي ، ولكن أنا مواطن العالم"[٢٠٢]

ومن ثم : فقد شدد إبكتيتوس على ضرورة الإيمان بالله وإدراك وفهم العناية الإلهية والقوانين الطبيعية(الإلهية) التي من شأنها أن تجعل الفرد يدرك أنه ، بحكم انسانيته وطبيعته التي فطره الله عليها ، أنه لا ينتمي إلى بلد بعينه بل هو مواطن في العالم ككل." ألست تعلم ، أنه بما أن القدم لم تعد قدما ، إذا انفصلت عن الجسد، فأنت لم تعد بشر ، إذ لم تكن جزء من مدينة الله : مدينة الله والبشر"[٢٠٣] وعلى ذلك

---

197 A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy , p. 301.
198 Epictetus ;XXII ;p. 8
199 Ibid;p. 8
200 A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy , p. 302.
201 Epictetus ;LV I , XXVI ;;p.19, 10..
202 Ibid ;XVI; XV; p. 5.
203. Epictetus ; Op Cit. LV I ;p21

كان إبكتيتوس يؤمن بالأخوة البشرية ، وأن العيش وفقا للفضيلة ، يشمل قبول المسئولية الاجتماعية والواجبات تجاه الآخرين.[٢٠٤]

إن إبكتيتوس يحاول هنا – على حد تعبير د. مصطفى النشار- أن يدعم ببراعة الاعتقاد الرواقي بضرورة الخضوع للقدر والإيمان به ، فيوضح الجانب الإيجابي في ذلك الخضوع ، ويؤكد أن الخضوع للقدر لا يعني الاستسلام المذل ، بل حرية الإنسان تكمن في أداءه للواجب ، وبتطبيق هذه النظرة على الجانب السياسي فضلا عن الأخلاقي ،فإذا أدى كل من المجتمع أدوارهم طبقا لمبدأ الواجب ،سيكون ذلك أساسا لنهضة المجتمع ككل.[٢٠٥]

لذلك يقول إبكتيتوس" بالنظر إلى الكون ، فإن الإنسان الحق والصالح ، يجب أن يسلم حكمه لمدبر الكون ، حتى يكون مواطن صالح لقانون الدولة"[٢٠٦] ، فالشخص الذي يطيع قانون الله ، هو بالتالي يطيع قانون الدولة ، الذي هو في حقيقته نابع من إرادة الله ، فالقانون عنده إذن قانون إلهي.

أما **ماركوس أوريليوس** [٢٠٧] (١٢١-١٨٠م) الإمبراطور الروماني الذي حكم البلاد في سنة ١٦١م.[٢٠٨] اختار المذهب الرواقي فاعتنقه بصدق وإخلاص ، لكن موقفه من الرواقية أدنى إلى موقف القاضي منه إلى المحامي، فقد أطرح شطرا كبيرا من تفاصيل المذهب الرواقي : اغفل منه دراسة المنطق والطبيعيات الرواقية، وتخلى عن بعض عقائد الرواق التي لم تكن توافق نظراته الإنسانية.[٢٠٩] ومن ذلك ، أنه على خلاف الرواقيين القدامى ، أخذ بفكرة أفلاطون عن الواجب الاجتماعي والسياسي ، فلما كان الإنسان كائنا اجتماعيا ، فإن من واجبنا أن نقوم بدورنا في الشؤون السياسية العامة ، يقول ماركوس" إنني أصحو من نومي لكي أؤدي عملي كإنسان" [٢١٠] ويقول في الكتاب السادس "لتكن بهجتك وراحتك في شيء واحد: أن تمضي من عمل اجتماعي إلى عمل اجتماعي آخر، والله في ضميرك وخاطرك" ، ويقول أيضا في الكتاب التاسع "مثلما انت نفسك جزء مكمل بمنظومة اجتماعية، كذلك كل فعل من أفعالك يجب أن يكمل حياة مبدأ اجتماعي ،فإذا كان لأي فعل من أفعالك صلة، مباشرة أو غير مباشرة، بغاية اجتماعية، فإنه

---

[204] Madsen Pirie ; 101 Great philosophers; p.42.

[٢٠٥] مصطفى النشار: المرجع نفسه، ص ٢٦٠.

[206] Epictetus ;XXIX ;p.11.

[٢٠٧] Aurelius Antoninus Marcus(121-189CE)،كان امبراطور روما من ١٦١ إلى ١٨٠، وهو مؤلف العمل المعروف باسم "التأملات" ، وكانت حياته تطبيقا للمبادئ الرواقية. انظر:

-Antony Preus: Historhcal Dictionary of Ancient Greek Philosophy ,p.65.

[٢٠٨] فضل الله محمد اسماعيل : نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، ص ٢٥.

[٢٠٩] عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ٢٥٨.

[٢١٠] عادل مصطفي: التأملات، التعليق ص ٣٠٢.

يمزق حياتك ويحطم وحدتها، إنه نوع من التمرد، كشأن من يحب أن ينشق عن الجماعة ، ويشذ عن التناغم"[٢١١]

يذهب ماركوس إلى أن العالم كله ليس إلا كائنا حيا واحدا مترابط الأعضاء، وأن ما يحدث في الجزء يؤثر في الكل ، وأن الله والطبيعة شيء واحد يقول في الكتاب الرابع " انظر دائما إلى العالم على أنه كائن حي واحد ، يتكون من مادة واحدة وروح واحدة" ويقول في الكتاب السابع "جميع الأشياء متواشجة متشابكة ، يربطها معا رباط مقدس ، فجميعها قد رتبت معا لكي تتعاون على تحقيق "النظام " الواحد للعالم، ذلك أن العالم المؤلف من جميع الأشياء واحد ، والإله المنبث في كل الأشياء واحد ، والمادة واحدة ، والقانون واحد ، والعقل الشائع في جميع الموجودات العاقلة واحد ،والحقيقة واحدة، لأن الحقيقة هي كمال الموجودات العاقلة المشاركة في عقل واحد"[٢١٢] فقد تقبل الفيلسوف بالطبع العناية الإلهية ، وحتمية القدر، فالأول يدعو إلى الكمال الأخلاقي، والثاني للخضوع.[٢١٣]

ومن ثم ، اعتنق أوريليوس وجهة النظر التوحيدية (وحدة الوجود) ، فالكون هو الإله، والبشر جزء منه، والهدف من الحياة يجب أن يكون العيش في وئام مع الكون، وبما أن كل شخص هو جزء من الإله ، لذلك فهو مرتبط بالآخرين، كتب أوريليوس " نفس واحدة موزعة بين عدة طبائع" ، والحرية الداخلية في رأيه ، تتحقق بالخضوع للعناية الإلهية.[٢١٤]

وبالتالي، يفضي النظام الواحد للعالم إلى الإيمان بالعناية ورفض نظرية التقاء الذرات بالمصادفة التي تقول بها الأبيقورية [٢١٥]، حيث يؤمن ماركوس بأن كل ما يحدث في الطبيعة ، إنما هو بدافع الضرورة "فالطبيعة لديه لا تعقل شيئا إلا بدافع الضرورة ، وأن عملها هذا فيه النفع والخير، وهذه الضرورة الخيرة انما تعبر عن العدالة التي تسود الكون بما فيه من علل تعود في النهاية الكائن الأسمى [٢١٦].

وكان ماركوس يشعر بالصلة الطبيعية التي تربط الإنسان مع الكون في وحدة عضوية، وعلى الإنسان أن يوحد بين نفسه وبين الغاية العاقلة للكون، وهذا هو واجب الإنسان الفعال نحو نفسه ، باعتباره مواطنا في ملكوت الله.[٢١٧] لذلك يربط ماركوس كما فعل أفلاطون بين الفرد والمدينة ، فبقول في الكتاب الخامس

---

[٢١١] ماركوس أوريليوس : التأملات، (٦-٧) ،(٩-٢٣) ص ١١٣،ص ١٨٧.

[٢١٢] عادل مصطفى : تعليق على كتاب "التأملات" لماركوس ، ص ٣٠٩. وانظر ماركوس " التأملات" ، ف (٤-٤٠).و (٧-٩).

[213] A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy; p. 303.

[214] Madsen Pirie ; 101 Great philosophers ; p. 45,46.

[٢١٥] عادل مصطفى: المرجع نفسه ، ص ٣١٢.

[٢١٦] مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٣٧.

[٢١٧] فضل الله محمد اسماعيل : نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، ص ٢٥.

"ما يضير المدينة، لا يضير مواطنيها أيضا: إذا كانت المدينة بخير فأنا إذن بخير" كما يعلي ايضا – كأفلاطون – من شأن الصالح العام على مصلحة الفرد فهو يقول في الكتاب الحادي العشر" وينبغي أن يكون هدفنا الذي نكرس له أنفسنا ، هو هدف اجتماعي ، أي صالح اخواننا المواطنين" [٢١٨]

لذلك يرى ماركوس أن كل ما يصيب الإنسان هو مقدر له منذ الأزل ، وملائم له لأنه ملائم لطبيعة العالم ، وعلى المرء أن يرضى بنصيبه ويتقبل قدره، لأنه خير من جهة ولا مفر منه من جهة أخرى ويقول " كل ما ألم بك كان مقدرا لك من " الكل" منذ البداية ومنسوجا من أجلك".[٢١٩] ويقول أيضا في الكتاب العاشر "وحده الإنسان العاقل من ألهم أن يختار الاستسلام طوعا لما يحدث، على أن الاستسلام المحض ضرورة مفروضة علينا جميعا." ويقول أيضا "أسلم نفسك طواعية إلى كلوثو Clotho ،إحدى إلهيات القدر، ودعها تغزل خيط عمرك على أي شكل شاءت. [٢٢٠] ومن ثم فإن شعور الإنسان بالحرية – إذن- ليست كاملة وليست مطلقة ، بل هي محكومة بقوانين العناية الإلهية والقدر الإلهي ، ومن يدرك ذلك جيدا ، سيشعر وهو يفعل بأنه حر بقدر ما هو خاضع في فعله لقضاء الله وقدره.[٢٢١]

على ذلك ،الحياة السعيدة عند الرواقيين الخالية من الاضطراب والانفعال ، هي الحياة الصالحة، الحياة وفقا للفضيلة، والفضيلة هي الوفاق مع الطبيعة أي مع العقل: الكلي والعقل الفردي (وهو جزء من العقل الكلي) يقول ماركوس في الكتاب السابع "بالنسبة لكل كائن عاقل ، فالعمل وفقا للطبيعة هو ايضا العمل وفقا للعقل"[٢٢٢]

و يرى أن القانون الطبيعي هو القدرة على المعرفة بالأمور الإلهية ، والأمور الإنسانية ، والعلم بما هو عدل وما هو ظلم.[٢٢٣] يقول في الكتاب الثالث "ينبغي أن تكون مبادؤك العقلية جاهزة لفهم الأمور الإنسانية والإلهية، وأداء أي فعل مهما كان ضئيلا ، بوعي بالرابطة التي تربط الإنساني بما هو إلهي ، فلن يتسنى لكك أن تجيد أي عمل يتعلق بالإنسان ، دون أن يكون لديك مرجعية إلى الأمور الإلهية "[٢٢٤]

يرجع الفضل لرواقي الرومان ، على سبيل المثال "ماركوس" أشهر أباطرة الرومان، في تطبيقهم مفهوم اللوغوس على الموقف السياسي ،فقد كان القانون

---

[٢١٨] ماركوس أوريليوس : المرجع نفسه، (٥-٢٢)،(١١-٢١). ص ١٠٥.، ص ٢٣٣.
[٢١٩] عادل مصطفى المرجع نفسه ، ص ٣٢٢.
[٢٢٠] ماركوس أوريليوس : التأملات، (١٠-٢٨) ، (٤-٣٤) ،ص ٢١١. ،ص ٨٢.
[٢٢١] مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ص ٢٧٧.
[٢٢٢] عادل مصطفى: المرجع نفسه ص ٣٤١.
[٢٢٣] فضل الله محمد اسماعيل : نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، ص٢٥
[٢٢٤] ماركوس أوريليوس التأملات ، (٣-١٣) ، ص ٦٥.

الطبيعي يعني أن كل إنسان يشارك في العقل ، بموجب الحقيقة التي مؤداها أنه موجود إنساني ، ومن هذا الأساس اشتق الرواقيون بعض القوانين التي تسمو بكثير على العديد من القوانين التي نجدها في العصور الوسطى المسيحية، فلقد منحوا كل موجود إنساني مواطنة عالمية ، وذلك لأن كل واحد يشارك في العقل من ناحية الإمكان.[٢٢٥] يقول ماركوس" نحن لا تجمعنا قرابة الدم والعرق فحسب، بل قرابة الانتساب إلى نفس العقل ونفس القبس الإلهي. "[٢٢٦] ويقول أيضا في الكتاب الرابع" ما دام الجزء المفكر مشترك بيننا، فالعقل مشترك أيضا، وهو ما يجعلنا كائنات عاقلة، ومشترك بيننا أيضا الآمر الذي يملي علينا ما نفعل وما لا نفعل، وإذا صح ذلك فبيننا أيضا قانون مشترك ، ومن ثم فنحن مواطنون ، نستظل معا بدستور واحد، إذا صح ذلك فالعالم كله دولة واحدة ، ومن هذه المدينة – الدولة المشتركة نستمد عقلنا نفسه، قانوننا، و إلا فمن أين نستمد ؟ فكما أن الجزء الترابي مني مستمد من تراب ما ، والمائي من عنصره (فلا شيء يأتي من لا شيء ، ولا شيء يعود إلى لا شيء) كذلك العقل ايضا مصدره.[٢٢٧]

ومن ثم تربط الرواقية –من الناحية العملية- في العصر الروماني بين السعادة والفضيلة والحكمة، فالسعادة تتحقق باتباع الفضيلة التي هي بدورها اتباع الحكمة التي هي العيش وفقا للعقل والرضا بالقدر ، وبما أن العقل هو الشيء المشترك بين جميع بني الإنسان ، فإن النتيجة الضرورية هي الدعوة إلى فكرة المدينة العالمية ووحدة الجنس البشري.

ويذهب ماركوس تأكيدا لذلك إلى القول في الكتاب الأول " ومن أخي سيفيروس Severus، تعلمت أن أحب أقربائي وأحب الصدق وأحب العدل، ومنه تلقيت فكرة دولة يسري فيها القانون الواحد على الجميع ، دولة تقوم على المساواة في الحقوق والمساواة في حرية الرأي ، وفكرة حكومة ملكية تحترم حرية المحكومين، فوق كل شيء".[٢٢٨]

لقد كان منح المواطنة الرومانية لسائر المواطنين في الدول التي يفتتحونها يمثل خطوة رائعة نحو المساواة، فالنساء والعبيد والأطفال الذين كانوا يعتبرون في ظل القانون الروماني القديم موجودات إنسانية أدنى في المرتبة ، أصبحوا متساوين في نظر قوانين الأباطرة الرومان.[٢٢٩]

خلاصة القول: أن الفلسفة الرواقية لم تقف عند طورها الإغريقي ، بل انتقلت إلى روما في وقت لاحق ، وكان من أهم ممثلي الفلسفة الرواقية الرومانية هم سينكا وابكتيتوس وماركوس أوريليوس، والذين قد استمدوا فلسفتهم من أسلافهم

---

[٢٢٥] بول تلش : المرجع نفسه، ص ٥٣.
[٢٢٦] ماركوس أوريليوس: المرجع نفسه، (٢-١) ، ص ٤٣.
[٢٢٧] ماركوس أوريليوس: المرجع نفسه، (٤-٤ ، ص ٧٢،٧١.
[٢٢٨] المصدر السابق، (١-١٤) ،ص ٣٤.
[٢٢٩] بول تلش: المرجع نفسه، ص ٥٣.

الإغريقيين ، وإن كانوا قد تميزوا عنهم ببعض الخصائص والتي من أهمها : النزعة الأخلاقية والميل إلى التدين فضلا عن اهتمامهم بالعمل على حساب النظر.

خامسًا: شيشرون[٢٣٠] ومدى تأثر الفقه الروماني بالفلسفة الإغريقية في مفهوم العدالة:-

لا يوجد من بين الكتاب من يمكن الاعتراف له كمفكر سياسي سوى شيشرون ، حيث أن انتشار الفلسفة الرواقية قبيل القرن الأول كمبادئ الدولة العالمية والعدالة الطبيعية وصفة المواطن العالمية، نتيجة لانصهار عالم البحر المتوسط في جماعة واحدة وفقدان دولة المدينة ما كان لها من أهمية، بسبب غزوات الإسكندر للشرق ، وقد اتبع تطور هذه الأفكار خطين رئيسين خلال القرن الأول قبل الميلاد والقرنين أو الثلاثة التالية : أولهما: الاتجاه القانوني والاعتراف بتأثير الرواقية على القانون الروماني في بدايته ، وأدى إلى اثبات وجود القانون الطبيعي حول الإطار الفلسفي للقانون الروماني .

وثانيهما الاتجاه الديني يتعلق بالنتائج الدينية لفكرة ارجاع القانون والحكومة إلى خطة مقدسة تستهدف إرشاد الحياة الإنسانية وفي كلتا الحالتين كان تطور الفلسفة السياسية مصادفة ، ويمكن ادراج شيشرون مع الاتجاه الأول حيث أن أفكاره السياسية قريبة نسبيا من أفكار رجال القانون .[٢٣١]

يكاد الإجماع ينعقد بين الباحثين على أن الفضل الأكبر في ترجمة "مفهوم العدالة" في صوغها القانوني في روما يرجع إلى شيشرون، فقد تمكن ، بحكم عمله كمحام شهير في روما، من مزج فلسفة أساتذته الإغريق بالواقع العملي، عندما استخدم فكرة العدالة في كثير من مرافعاته، وتمسك بسمو القانون الأخلاقي على القانون الوضعي لتحقيق مصلحة من يتولى الدفاع عنهم.[٢٣٢] فقد انتقى شيشرون كغيره من المفكرين الرومان أكثر المفاهيم أهمية في الإغريقية الكلاسيكية التي ظنوا أنها من الممكن أن تكون مفيدة من الناحية البرجماتية

---

[٢٣٠] شيشرون " ماركوس توليوس" (١٠٦- ٤٣ ق.م) هو سياسي روماني ورجل أدب، أهم ناقل للفلسفة اليونانية في التراث اللاتيني . عندما كان صغيرا درس مع فايدروس الأبيقوري ، ولما بلغ التاسعة عشر من عمره سمع Philo of Larissa، درس مع ديدوتس Diodotus وهو رواقي ، بعد سنة 79B.C عاش شيشرون في أثينا لمدة ، يدرس مع انطوخيوس عسقلان وآخرين، وزار رودس حيث التقى بالرواقي "بوسيدونيوس" Posidonius بالرغم من أنه سعى في مهنة سياسية بنشاط وانتج ثلاثة أعمال في الخطابة والسياسة، إلا أنه انسحب من السياسة واتجه إلى الكتابة الفلسفية حول المفارقات الرواقية ، الأكاديمية، طبيعة الآلهة ، في العرافة، في القدر، ...وإلخ، ثم عاد شيشرون إلى الساحة السياسية في فترة قرابة عامين بين صعود "يوليوس قيصر" إلى السلطة عام 46 B.C وعام 44 B.C وما قبلها، مما أدى إلى اغتياله عام 43 B.C

) Antony Preus: Historical :Dictionary of Ancient Greek Philosophy, p. 75)

[٢٣١] جورج سباين ، المرجع نفسه ، ص ٤٧-٤٩.

[٢٣٢] سيد أحمد صقر: فلسفة العدالة عند الإغريق،، ص ٩٨،٩٩.

للمواطنين الرومان فقد اختاروا من منظور براجماتي ، ما يمكنه أن يعين على ايجاد أفضل حياة بالنسبة لأي مواطن روماني، باعتباره مواطنا في دولة عالمية.[٢٣٣]

لعل أعظم ما ساهم به شيشرون بالفعل في تطور الفكر السياسي هو ما ألقاه من أضواء على نظرية الرواقيين في القانون الطبيعي ، فصاغها صياغة انحدرت عنه إلى الفكر الأوروبي فانطبع بها منذ عهده حتى القرن التاسع عشر. صحيح أن أفكار شيشرون لم تكن جديدة أو مبتكرة، وإنما الجديد كان صياغته لهذه الأفكار وفي مصطلحات لاتينية من صناعته الخاصة قدم بها الرواقية الإغريقية [٢٣٤].

ويذهب شيشرون إلى أن الفيزياء –بالنسبة للرواقيين- لها بعد أخلاقي حقيقي ، فالسلوك الأخلاقي يتميز باتفاقه مع الطبيعة، والمعرفة الفيزيائية ضرورية لفهم بعض المبادئ الأخلاقية ، وبصفة عامة، من أجل فهم دور الطبيعة في ممارسة العدالة، كما تلعب الفيزياء أيضا دورا في فهم وحدة الجنس البشري ، وإدراك ان جميع البشر هم أخوة، فهم أبناء لنفس الأب ، وينتمون لنفس العائلة.[٢٣٥]

وفي ضوء ذلك ،يعلن شيشرون أن العقل والقانون الطبيعي ، أساس الدولة وقوانينها ، فهو يرى ان الناس مُنحوا موهبة القانون الذي هو العقل السليم، وإذا كانوا مُنحوا القانون فقد مُنحوا العدالة أيضا.[٢٣٦] ومن ثم يذهب شيشرون إلى أن الدولة نتيجة طبيعية لغرائز الإنسان الاجتماعية، فاتفق بذلك مع الرواقيين، في مبدئهم القائل بأن الدولة نظام طبيعي ، وخالف أبيقور وأتباعه الذين قالوا أن الدولة نظام صناعي أوجبه حب الذات ودعت إليه المصلحة الضرورية، ولكنه خالف الرواقيين في اعتباره الدولة نظاما سياسيا منفصلا عن الجماعة البشرية.[٢٣٧]

فالدولة طبيعية من حيث أنها ضرورية لتحقيق حياة سعيدة وفاضلة، وهي لا توجد كما يفترض بعض الفلاسفة نتيجة ضعف للطبيعة البشرية ، بل بسبب روح اجتماعية غرستها الطبيعة في الإنسان ، فهو ليس مخلوقا يعيش بمفرده، أو

---

[٢٣٣] بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهيلينستية واليهودية حتى الوجودية، ص ٥٤. ويعتبر شيشرون – وغيرة من زعماء الرواقية المتأخرة -بفلسفته الانتقائية من المصادر الرئيسية للفلسفة الرواقية القديمة ، حيث أنه لم يبق لنا من تصانيف زينون الكثيرة، وتأليف كريسيبوس الخمسة والسبعمائة إلا بعض عناوين وشذرات زهيدة ذكرها ديوحين اللايرتي .(انظر: اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الجزء الثاني "الفلسفة الهيللنستية والرومانية" ، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٤٣.

[٢٣٤] جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٥٢.

[235] Margret J.Osler; Atoms ,Pneuma ,and Tranquility ; Op. Cit, p. 11.

[٢٣٦] ف .ن. نرسيسان: الفكر السياسي في اليونان القديمة، ص ١٨٧.

[٢٣٧] حسن خليفة: النظريات السياسية وتطورها ، ص ٤٧.

مخلوقا غير اجتماعي ، بل هو مدفوع بطبيعته الخالصة إلى أن يبحث عن صداقة أقرانه.[٢٣٨]

اتبع شيشرون تعاليم أفلاطون في أن الحق والعدل خالدان ، وأيد تعاليم الرواقية في وجود قانون عام في الطبيعة، ونادى بأن القانون الحقيقي هو القانون الذي يتفق مع العقل القويم ،ويتمشى مع الطبيعة ويكون عاما وخالدا، فالقانون الطبيعي إذن هو مصدر الحقوق جميعها وهو الحكمة الخالدة التي تحكم العالم ، أما ما عداه من القوانين البشرية والتشريعات المختلفة، فيجب ألا يطلق عليها اسم القانون إلا إذا اتفقت مع القوانين الخلقية الطبيعية.[٢٣٩]

فقد أكد شيشرون على أن الدولة مؤسسة أخلاقية ، وبالتالي فهي ملك عام للشعب ، وأن أي سلطة سياسية لا يمكن أن تعتبر شرعية إلا إذا ارتكزت على إرادة شعبية، ، هذا في اطار ما أكده من أن الدولة وقوانينها تخضع للقانون الأعظم ، وهو القانون الطبيعي الذي يمثل أعلى قواعد الحق والعدالة.[٢٤٠] وقد كان هيراقليطس هو أول من حدد قانون الطبيعة بإرادة الله، ، وقد تبنى فقهاء الرومان هذا الرأي " فالقانون ليس من صنع الإنسان"، طالما أن العقل البشري جزء من العقل الإلهي ، ومن ثم يشترك جميع الأفراد في عقل الله (العالمي) ، وروح العالم –إذن- تخضع لقانون ومواطنة مشتركة.[٢٤١]

هناك –إذن- قانون طبيعي عام ينبثق من واقع حكم العناية الإلهية للعالم كله، كما ينبثق من الطبيعة العقلية و الاجتماعية للبشر، تلك الطبيعة التي تجعل الناس أقرب ما يكون إلى الله، وفي هذه النظرة تكمن فكرة دستور دولة العالم، أي دستور واحد في كل مكان، لا يتغير ولا يتبدل في إلزام جميع الأمم وجميع الناس بأحكامه ، فلن يكون للناس إذن إلا سيدا وحاكم واحد هو الله مشرع هذا القانون ومفسره وراعيه.[٢٤٢]

يرى شيشرون أن الطبيعة والمبادئ الأخلاقية والعقلانية والرشد يمكن اعتبارها كمترادفات تبوح للفرد ببعض القوانين التي توضح لذكاء الفرد ما هو في نفس الوقت طبيعي ورشيد وأخلاقي ، فهناك قانونا طبيعيا عاما هو العقل والحق ، ويستدل عليه من أن الكون له خالق واحد هو الإله ، وبالتالي فلهذا الإله قانون واحد يسري على جميع الأفراد ، ويتساوى أمامه الأفراد على أساس العقل.[٢٤٣]

فالإنسان هو المخلوق الطبيعي الوحيد الذي يمتلك نفسا عاقلة ، ويشارك في الملكة الإلهية للعقل مع الآلهة ، ويوجد في كون عقلي منظم، ومن ثم يشارك

---

[٢٣٨] ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديدس حتى اسبينوزا، ص ٢٤٣.

[٢٣٩] حسن خليفة: النظريات السياسية وتطورها، ص ٤٨.

[٢٤٠] حورية مجاهد: المرجع نفسه، ص ١٤٨.

[241] E.H. Blakeney ,M.A; The Hymen of Cleanthes ; Op,.Cit,, p. 9, p. 14.

[٢٤٢] جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٥٣،٥٤.

[٢٤٣] حورية مجاهد: المرجع نفسه، ص ١٤٧.

في القانون والعدالة مع الآلهة.[٢٤٤] ويكتب شيشرون " ولا يمكن لأي شخص أن يحكم حقا على الأشياء الخيرة والشريرة، إلا بمعرفة خطة الطبيعة بأكملها، وكذلك بمعرفة حياة الآلهة " ، لذلك يرى شيشرون فائدة دراسة الفيزياء فقط أنها تساعدنا على معرفة مكاننا في الكون، وتساعدنا على فهم أفضل الأخلاقيات العامة.[٢٤٥]

ويعرف شيشرون العدالة بأنها " عادة إيتاء كل ذي حق حقه دون المساس بالصالح العام" ، ويقترب من هذا التعريف ما قال به الفقيه "أولبيانوس" معرفا العدالة بأنها " إرادة دائمة دائبة لإيتاء كل ذي حق حقه"، والنظرة الخاطفة إلى هذين التعريفين تذكرنا وبلا شك بتعريف السوفسطائي "بوليمارخوس "للعدالة بأنها إعطاء كل ذي حق حقه.[٢٤٦]

ويذهب شيشرون إلى أنه ليس هناك شيء أفضل من التسليم المطلق بأننا خُلقنا من أجل العدالة ، وأن الحق لا ينبني على آراء الناس، بل على أحكام الطبيعة، ويستنتج من خضوع الناس جميعا لقانون واحد ، أنه ينبغي أن يكونوا متساوين، حيث أن لكل فرد بوصفه إنسانا الحق في قدر مقدور من الكرامة الإنسانية ، وحتى ولو كان عبدا فهو ليس كما قال ارسطو مجرد آلة تنبض بالحياة، بل ينبغي أن يُعامل الإنسان –على حد تعبير كانط - على أنه غاية في نفسه وليس مجرد وسيلة.[٢٤٧] وبذلك يمكن القول بأن شيشرون كان يتعامل مع مفهوم العدالة باعتبارها تقوم على المساواة، أي أنه وحد بين مفهوم العدالة ومفهوم المساواة.

إن العدل وليس الظلم ، هي أساس السلوك الناجح في شؤون أي دولة.، بل ومن الأفضل إلى حد كبير من الناحية العملية ، أن تسعى الدولة إلى الاسترشاد بالمتطلبات الصارمة للعدالة ، وأن تقترب من معيار العدالة الكاملة.[٢٤٨]

ويبدو جليا من التعريفين السابقين للعدالة أن فقهاء الرومان ، قد نظروا – كفلاسفة الإغريق -إلى العدالة على أنها فضيلة من الفضائل شأنها في ذلك شأن الشجاعة و الحكمة والعفة ،فضلا عن أنها فضيلة ايجابية لأنها تقوم على الإرادة كما يقول أولبيانوس وعلى العادة كما يرى شيشرون، فهي ايضا علم وفن في الوقت ذاته، وهي علم يهدف إلى إيتاء كل ذي حق حقه، وفن لأنه لا يكفي أن يكون الفرد عالما بما هو عدل وظلم، بل تظهر هذه المعرفة في أفعاله.[٢٤٩]

---

[٢٤٤] ليو شتراوس: المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

[245] William Jordan : Op. Cit, p. 152.

[٢٤٦] سيد أحمد صقر: فلسفة العدالة عند الإغريق وأثرها على فقهاء الرومان، ص ٩٩،١٠٠.

[٢٤٧] جورج سباين: المرجع نفسه، ص ٥٣،٥٥.

[٢٤٨] ليو شتراوس،: المرجع نفسه، ص ص٢٥٢.

[٢٤٩] سيد أحمد صقر: المرجع نفسه، ص ١٠٠-١٠٢.

نتائج البحث:-

يمكننا مما سبق أن نستنتج ما يلي:-

- أن الرواقية لم يكن لها مذهب أو نظرية سياسية متكاملة الأجزاء، بل كانت فلسفة انسانية عملية ، تهدف في المقام الأول إلى تحقيق السعادة والطمأنينة لبني البشر، دون حاجة إلى التفكير النظري السياسي.
- إن مصدر القانون عند الرواقية هو الطبيعة التي هي الإله ، وبالتالي فإن القوانين عندها هي قوانين طبيعية إلهية ، ومن ثم فهي مطلقة ثابتة ومقدسة لا تقبل التغيير وفقا للمكان أو الزمان، ولا تخضع للأهواء البشرية المتقلبة.
- بالرغم من أن الرواقية كانت مثل السفسطائية تؤمن بالقوانين الطبيعية ، إلا أن القوانين الطبيعية عند الرواقيين، كانت تعبيرا عن الحتمية الصارمة على المستوى الفيزيائي، وعن الإلزام الخلقي والواجب على المستوى الأخلاقي، في حين ان القانون الطبيعي عند السفسطائيين كان تعبيرا عن الحرية المفرطة التي تتيح لكل شخص أن يفعل ما يراه مناسبا لمصلحته الشخصية.
- يمكن اعتبار الفلسفة الرواقية فلسفة طبيعية في المقام الأول ، فقد كان لها مذهبا متكاملا في الطبيعة ،كان من نتاجها الإيمان بقانون واحد شامل هو قانون الطبيعة.
- كان من نتائج امتداد فكرة القانون الطبيعي عند الرواقية على المجال الأخلاقي هو مبدأ العيش وفق الطبيعة ، وبالتالي فكرة الواجب الأخلاقي والإحساس بالمسؤولية الأخلاقية.، كما كان أيضا من نتائج الامتداد السياسي لفكرة القانون الطبيعي فكرة المدينة العالمية، والإخوة البشرية بين جميع بني البشر .
- إن العدالة عند الرواقية كانت عدالة أخلاقية وليس عدالة قانونية –كما رأينا لدى أفلاطون- فيمكن النظر إليها على أنها فضيلة من فضائل النفس البشرية ، حيث أنها لا تعني لديهم مجموعة من القواعد أو القوانين ، بل هي فضيلة أخلاقية وطريقة حياة ، تتمثل لديهم في العيش وفقا للقانون الطبيعي.
- يمكن اعتبار نظرية الرواقية عن فكرة المدينة العالمية والأخوة البشرية أنها تدل على ثراء خيالهم، حيث أنه لا يمكن تسميتها بأي وجه من الوجوه نظرة علمية . فرغم أنه من أهم سمات الفلسفة الرواقية بوجه عام ، وطورها المتأخر (الرواقية الرومانية) بوجه خاص أنها فلسفة عملية في المقام الأول، إلا أن نظرتها العالمية صعبة التحقق على أرض الواقع.
- نجد أنه في الفترة الرومانية للفلسفة الرواقية ، يبدو واضحا أن تراجع الاهتمام بالمجالات النظرية (المنطق – والطبيعيات) ، قد صاحبه اهتمام

متزايد بالمثالية والأخلاق والدين، كما نجد لدى سينكا وابكتيتوس وماركوس أوريليوس.

قائمة المصادر والمراجع:-

١- المصادر والمراجع العربية:-

أولا المصادر:-

١- جلال الدين سعيد: فلسفة الرواق "دراسة ومنتخبات" ، مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩م.

٢- ديوجين اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة ، الجزء السابع ،المجلد الثاني، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

٣- ماركوس أورويليوس: التأملات ، ترجمة: عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة، ٢٠٠٨م.

ثانيا المراجع:-

١- أحمد فؤاد الأهواني :- المدارس الفلسفية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الإسكندرية ،١٩٦٥ م.

٢- أميرة حلمي مطر:- الفلسفة عند اليونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣- اميل برهييه: تاريخ الفلسفة، الجزء الثاني(الفلسفة الهيلينستية والرومانية) ، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

٤- برتراند راسل: حكمة الغرب، الجزء الأول، ترجمة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٣م.

٥- .....:- تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الأول (الفلسفة القديمة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

٦- بول تلش: تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهيلينستية واليهودية حتى الوجودية، الجزء الأول ، ترجمة: وهبة طلعت ابو العلا، مركز جامعة القاهرة للغات والترجمة، ٢٠١٢م.

٧- بيير دوكاسيه: الفلسفات الكبرى، ترجمة: جورج يونس، منشورات عويدات،ط٣، بيروت- باريس، ١٩٨٣م.

٨- جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة :ناجي الدراوشة، دار التكوين للترجمة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٠م.

٩- جورج سباين: تطور الفكر السياسي، الكتاب الثاني، ترجمة: جلال الدين العروسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
١٠- حسن خليفة: تاريخ النظريات السياسية وتطورها، المكتبة الحديثة، القاهرة، ١٩٢٩م.
١١- حورية مجاهد: الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة كتاب رواية، ط٧، ٢٠١٩.
١٢- عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١.
١٣- فضل الله محمد اسماعيل، محمد سيد عثمان: نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار، ٢٠٠٦م.
١٤- فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة ، المجلد الأول (اليونان والرومان) ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٥- ليوشتراوس وجوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديدس حتى اسبينوزا، ترجمة: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.
١٦- ماجد فخري: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.
١٧- متوديوس زهيراتي: الاسكندر الأكبر فتوحاته وريادة الفكر اليوناني في الشرق، دار طلاس ، دمشق، ١٩٩٩م.
١٨- محمد الخطيب :- الفكر الإغريقي ، منشورات علاء الدين ، دمشق، ١٩٩٩م.
١٩- محمد حسن مهدي:- الفلسفة الإغريقية ومدارسها من طاليس إلى ابروقليس، عالم الكتب الحديث، الأردن ، ٢٠١٥.
٢٠- محمد علي ابو ريان:
٢١- محمد مهران رشوان:- تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٢- محمود مراد: الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ١٩٩٩.
٢٣- مصطفى النشار :الفكر السياسي من صولون حتى ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩.
٢٤- .....:- الفلسفة اليونانية من منظور شرقي (المدارس الفلسفية اليونانية في العصر الهيلينستي) ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٣.

٢٥- مصطفى سيد أحمد صقر:- فلسفة العدالة عند الإغريق وأثرها على فقهاء الرومان وفلاسفة الاسلام، مكتبة الجلاء الجديدة ، المنصورة، ١٩٨٩م.
٢٦- مصطفى لبيب:- في فلسفة الطبيعة عند الرواقيين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢٧- ول ديورانت: قصة الفلسفة " من أفلاطون إلى جون ديوي" ، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف،ط٦، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٨- وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة ، القاهرة، ١٩٨٤م.
٢٩- يوسف كرم : - تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، ٢٠١٢م.

٣-الابحاث والمقالات:-

١- حسن محمود الطائي: الرواقية وفكرة الجامعة الإنسانية، مجلة الفتح، كلية الآداب جامعة المستنصرية، العدد التاسع والعشرون، ٢٠٠٧م.
٢- صخري محمد: المدرسة الرواقية، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ٢٠١٨م.

ثانيا المصادر والمراجع الأجنبية:-

١- المصادر:-

1- E.H. Blakeney ,M.A; The Hymen of Cleanthes (Greek text translated into English); The Macmillan Company ; 1921
2-Epictetus ; The Golden Sayings of Epictetus (IV); trans; Hastings Crossley; Global Grey Books; 2018.
3- Dana Estes .M.A; Noble Thoughts of The World Greatest Minds, C.H. Simonds& Co. Bostom ; U.S.A, 1909.

ثانيا المراجع:-

1- Antony Kenny :-Ancient philosophy , Clarendon, Oxford , U.S.A, 2004,
2-Antony Preu; Historical Dictionary of Ancient Greek philosophy , the Scarecrow press, Inc ;U.S.A. 2007.
3-A.S Bogomolov; History of Ancient philosophy (Greece and Rome), Progress Publishers, Moscow, 1985.

4- Doyne Dawson :-Cities of The Gods (Communist Utopias in Greek; Philosophy, Oxford University Press ,1992.
5- E. Bevan: Stoic and Sceptics , Barnes & Noble Inc., New York,1959.
6- E .Zeller; Outline of History of Greek Philosophy
7-Katja Maria Voget; Law, Reason ;and, Cosmic City ;political philosophy in the Early Stoa; Oxford university press; 2008
8-Madsen Pirie ; 101 Great philosophers, Continuum International Publishing Group, London, 2009.
9-Margret J. Osler; Atoms ;and Tranquility (Epicurean and Stoic Themes in European Thought ; Cambridge university press; New york; 1991
10-R.J. Hankinson; Cause and Explanation in Ancient Greek Thought; Clarendon press, Oxford, 1998,
11-R.W. Sharples; Stoics ;Epicureans ;Sceptics :An introduction to Hellenistic philosophy ;:Rutledge London ,1996.
12-William Jordan; Ancient Concepts of philosophy, Routledge, London, 1992.
13-William Tuner(S.T.D) :History of philosophy , Boston, U.S.A., and Ginn & Company, Publishers, London, 1903.
.